عبدالله بن علي بن مسفر

السراج المنير

في سيرة أمراء عسير

عبد الله بن علي بن مسفر



مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

الحمد لله الذي قصّ علينا في كتابه الكريم أحسن القصص ، وذكر فيه أخبار الامم السابقة بما عمم في محكم آياتـه وخصص ـ سبحانـه وتعالى لا أحصي ثنـاء عليه هو كما أثنى على نفسه ـ دبر أمور العـالم بحكمته على اختلاف أنواعه وأجنـاسه ؛ هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء من عباده ؛ جعل الايام دولا بين النـاس على مقتضى ما جرت عليه الارادة وصلى الله على سيدنا محمد ذي الخلق العظيم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين أما بعد :

فقد امتاز علم السير والتواريخ بالقصص التي ترتاح اليها النفوس بذكر الاوائل والوقوف على ما وقع في غابر الاجيال لذلك اعتمدت على الله سبحانه وتعالى وقمت بتدوين « تاريخ مقاطعة بلدان عسير ـ سراة وتهامة في عهد الدولة السعودية قديما وحديثا ـ » ؛ واستفدت في عملي هذا من الكتب المعروفة والمراجع المشهورة؛ وما رأيت روايتين متعارضتين الا أخذت بأصحهما ، واسندت الرواية الى أصحابها للامانة العلمية وشدة حرصي على التثبت في صحة النقل ، ووضعت هذا الكتاب ـ بحمد الله تعالى ـ وسطا بين التطويل الممل والاختصار المخـل وسميته (السراج المنير في سيرة أمراء عسير) .

وعرضت عملي هذا على العلامة الشيخ حمد الجاسر عام ١٣٧١ هـ ،

فرغبني في طباعته . فتقدمت به الى مديرية الاعلام في عهد الشيخ عبد الله أبا الخير ليكون في عداد مطبوعات المديرية ، فوافق على ذلك . ولكنه لم يلبث أن ترك منصبه مما جعل الكتاب يختفي بين أوراق الاستاذ الكريم وبين مكتبة المديرية . وبقي هذا الضيـاع حتى مطلع عام ١٣٩٦ هـ على الرغم من البحث الشديد والالحاح الكثير .

ووجد الكتاب .... ووجّه اليّ الشيخ حمد الجاسر نداء بمجلة العرب الغراء التي يشرف عليها ، يحثني فيه على طباعة الكتاب، ويشجعني على ذلك ... وهذا ما دفعني للعمـل فيه وتقديمه الى القراء بصورتـه الحالية . أرجو من الله أن ينفع به ، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم فهو نعم المولى ونعم النصير .

عبد الله بن علي بن مسفر

مقدمة

لقد عمّ نور الاسلام الجزيرة العربيــة جميعهــا في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتطهــرت من أدران الجاهليــة في أيامــه المباركة ، فكانت الجزيرة أسعد بلاد تشرفت بخدمة الدين الحنيف ونصرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقامت الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة ايام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كما قامت بعدهم ؛ فانتشر الاسلام في تلك البلاد بسيوف أبناء الجزيرة ، وعمّ النور أنحــاء المعمــورة كلها ؛ وعلت كلمة اللــه ، واعترف الناس بوحدانيته ؛ ودانوا لعبادته .

انتشر أبناء الجزيرة خارجها لتأدية واجب الجهاد فملؤوا الخافقين ؛ وقدّر أن تنتقل عاصمة الخلافة الى خارج الجزيرة ... ولم يمض وقت طويل حتى عادت الجزيرة شيئا فشيئا الى عزلتها السابقة ؛ ورجعت رويدا رويدا الى نظام القبيلة وعصبيتها والى طريقة الحكم القديم ، فتعــددت الامارات ، وأنكر المسلم أخاه المسلم في مطامــع وأحكام ينبىء الاسلام على هدمها ؛ فقد كانت حالة العالم الاسلامي العامة اذ ذاك في أشد أيام الضعف والاضطرابات ؛ فالدولة العثمانية في أواخر عهدها وتعاني الامرين في كل مكان ، ومصر تصرخ من أعمال المماليك .... وهذا شأن الامصار

الاسلامية كلها • ويمكن القول ان التدهور السياسي العام كان نتيجة التدهور الخلقي ••• وكان نصيب الجزيرة العربية من هذا التدهور وافرا حسب القاعدة المشار اليها فكانت نجد والحجاز واليمن بما فيه مقاطعة عسير ونواحيها في حالة مماثلة تقريبا • وكان نتيجة ذلك أن ضعف الحاكم وكثرت الفتن والثورات وتجزأت الدولة ؛ وأضحت الجزيرة العربية مقاطعات صغيرة منها مقاطعة عسير وتوابعها •

واستبد كل أمير بمقاطعته واستقل فيها ، وكثرت الحروب والغارات بين الامراء والحكام دون ان يردع أحدهم رادع ديني فاختل توازن الحكم ورجع التاريخ الى الوراء أجيالا وأجيالا وكأن الأمة تحيا في العصور المظلمة •

ان أمة تعيش في الفوضى وتنتشر بين أبنائها الرذائل لهي بحاجة ماسة الى قائد يقودها الى طريق الخير والفلاح ومرشد ديني يهديها لما فيه صلاح دينها ودنياها • وقد كانت مقاطعة عسير بلدا كثر فيها الشر والفساد حتى تأخر سكانها في نواحي الحياة كلها وبخاصة الدينية منها ، غير أن رحمة الله قد جاءت فقيض الله لسكان الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري مصلحا دينيا نشأ في بيت علم وفقه وقضاء هو شيخ الاسلام الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب المتوفى عام ١٢٠٦ هـ فأخذ بأهل البلاد نحو الخير والصلاح •

ولد محمد بن عبد الوهاب في ظروف سيئة حيث كثرت الرذائل وعمت البدع والخرافات ؛ فدرس العلوم الاسلامية وتمكن منها فصار يدعو قومه الى جادة الصواب وقد رآهم قد انحرفوا ؛ فوقف الرعاع في وجهه وأرادوا قتله غير أن الله سبحانه وتعالى أنجاه منهم ، واتصل بأمير (العيينة) عثمان بن معمر ، فنصره ، ثم خذله وتنكر له من أجل مصلحة

دنيوية طغت ــ مع الاسف ــ على كل شيء . ومضى الشيخ الى الدرعية فكانت صلة وشيجة بينه وبين الامام (محمد بن سعود) ووجد من آل سعود كل عون واحترام .

ومن ذلك اليوم بدأ الجهاد من ملوك آل سعود في سبيل الحكم بما أنزل الله ، وقد حكموا أجزاء واسعة من الجزيرة العربية ، وأخذت مناطق أخرى بتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنها مقاطعة عسير التي نحن بصدد دراسة تاريخها .

ومن الحق أن نقول : ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يقم بدعوة جديدة أو حمل الناس على مذهب جديد وانما حمل الناس على مذهب أهل السنة والجماعة التي باعدت بينه وبين الناس عادات السوء ومواريث الجهالة ودعا الى ذلك بلسان طلق وكلمات عذبة وحجج دامغة حتى قيض الله له نصرة الامام محمد بن سعود أمير الدرعية آنذاك فأعانه على الخير ونصره على أعدائه وجاهد معه بدعوته .

ويجدر بي ألا أختم هذه المقدمة الا بعد أن أذكر من له فضل بالايعاز الي بتأليف هذه النبذة التاريخية واخراجها وهما : معالي أمير مقاطعة عسير وتوابعها تركي بن أحمد السديري والاستاذ الفاضل السيد فؤاد حمزة عندما كان يفاوض مندوبي حكومة اليمن في مؤتمر أبها مع نخبة من الرجال البارزين من مواطني هذه المقاطعة لكشف نواحيها التي لا تزال مجهولة لدى أغلب الناس وهي جديرة أن تنشر لما فيها من النفع العام والله سبحانه وتعالى هو الموفق .

عبد الله بن علي بن مسفر



الباب الاول

الحياة الطبيعية

تبتدىء بلاد عسير شمالا من (الليث) فبلاد (زهران) و (شمران) الى حدود وادي (رنيه) ، وجنوبا من ميناء (الحديدة) و (المخا) فبلاد (رزاح) و (وادعه) الى (سحار الشام) فبلاد (همدان) و(صعده) و(حاشد) و (تكبير) ، وتنتهي في الجنوب الشرقي بوادي (الفرع) ووادي (صله) [1] ، وشرقا وادي (الدواسر) الى ماء (عقيلان) فحدود (بيشة) ، وغربا البحر الاحمر .

اقسام عسير :

نلاحظ في مقاطعة عسير عدة أقسام طبيعية هي :

١ ــ السواحل وتهامة : وهي المناطق الواقعة على شواطىء البحر الاحمر (القلزم) من الجهة الغربية ، وممتدة عرضا الى سلسلة جبال

---

(١) صلة : وادي ينحدر الى الربع الخالي بحدود نجران اليمانية كما نص ذلك ملحق معاهدة الطائف بين حكومة اليمن وحكومة المملكة العربية السعودية .

السراة ، وتسمى (تهامة) لشدة حرها وركود رياحها ، ويقال لها أحيانا (تهم الحر) ، وتسمى (الغور) لانخفاض أراضيها وبعد مياهها .

٢ ـ جبال السراة : وتمتد بلا انحناء من اقصى حدود الطائف الشمالية في عرض ثلاثة ايام [١] يزيد كسر يوم في بعض المواضع ، وقد ينقص مثله في بعض المواضع الاخرى . وتبدأ سلسلة جبال السراة التي تسمى (ساق الغراب) من أراضي (المعافر) في اليمن ، والمعافر قبيلة قحطانية تسكن شرقي عدن ، وتمتد للجهات الشمالية حتى تبلغ (الحرّة) شرقي المدينة المنورة ، وتقطعها الوديان في بعض الجهات . وقد سميت حجازا لانها حجزت بين تهامة ونجد ، وسمي نجدا لارتفاع أرضه عن سطح أراضي السهول في تلك الاماكن . وترقى من تهامة الى جبال السراة في عقبات طرق مسلوكة يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ قدم ، وتشرف على قرى جبال السراة ، ومنها تأخذ في الانحدار الى سهول نجد نحو الجهات الشرقية .

٣ ـ السهول : وهي ما دون تلك الجبال الشاهقة بالسراة .

وفي عسير جبال مختلفة اللون كثيرة الاشجار ، وفيها الجبال الجرداء يكسوها السواد ، ويتخلل هذه الجبال وديان كثيرة حفرتها السيول ، وتتجه مياهها الى ناحيتين ، فيجري قسم منها الى جهة السهول الشرقية ، ويتجه قسم آخر الى تهامة في الجهة الغربية ، ومنها تتدفق المياه الى البحر الاحمر .

والاراضي الزراعية القريبة من الوديان خصبة جدا ، وتكثر فيها المراعي لذا تجدها آهلة بالسكان في قرى متقاربة ومتعددة ، أما البعيدة عن الاودية فهي أراض مقفرة لا تصلح للسكن .

---

(١) اليوم : يعادل مسافة اربعة وعشرين ميلا أو ثمانية فراسخ .

وبلدان عسير ــ كما أسلفنا ــ كثيرة الاودية منها ما يقطع جبال السراة حتى تنتهي في البحر الاحمر ومنها ما هو عكس ذلك الاتجاه تنحدر من جبال السراة الى الجهة الشرقية ، وأعظم الاودية الآهلة بالسكان هي : وادي العرضية المنحدر الى القنفذة ؛ حلي بن يعقوب ــ يبه ــ ريم ــ الشقيق ــ ضلع ــ عتود ــ بيش ــ صبيا ــ الجعافرة ــ جيزان ــ خلب ؛ هذه أودية تهامة ، اما اودية السراة فأشهرها العمرة ــ تبالة ــ بيشة ــ تثليث ــ شهران ــ أبها ــ طبب ــ تندحة ــ عتود .

اقسام عسير

تنقسم مقاطعة عسير الى قسمين رئيسيين : ١ ــ تهامة : وتمتد من السعدية والليث شمالا الى الحديدة جنوبا . ٢ ــ السراة وتمتد من حضن وقبائل البقوم وزهران وغامد وبالقرن شمالا الى ظهران الجنوب ونجران وقبائل قحطان ووادعة جنوبا بتخوم اليمن ، أما من ناحية الشرق فتمتد الى شروره والربع الخالي وصبحا وحصاة قحطان .

وتنقسم تهامة الى خمسة مراكز رئيسية هي : ١ ــ القنفذة . ٢ ــ محايل . ٣ ــ رجال ألمع . ٤ ــ جيزان وتوابعها . ٥ ــ الحديدة والمخا .

١ ــ القنفذة : ومركزها الرئيسي ميناء القنفذة وهو المرفأ الاول لبلاد عسير . ويتبعها قبائل (حلي) و (العريضة) و (يبه) و (زبيد) .

٢ ــ محايل : ومن قبائلها المشهورة (بارق) و (آل موسى) و (آل مشول) و (آل دريب) و (آل الريش) و (المنجحة) و (آل جبلي) و (آل موسى بن علي) و (ربيعة الطحاحين) و (آل سباعي) و (حميضه) و (ربيعة مفاطرة) .

٣ ـ رجال ألمع : وقبائلها المعروفة (قيس) و (بنو ظالم) و (بنو زيد) و (بنو قطبة) و (آل صاب) و (بنو جونة) و (شحب) و (العوص) و (البنا) و (البرك) و (قنا والبحر) ويعد ميناء القحمة مرفأ لها .

٤ ـ جيزان : وتنقسم الى عدة نواحي ، ويقطن كل ناحية قبائل كثيرة نذكر اهمها وهي : (صبيا) و (ابو عريش) و (اهل بيش) و (درب بني شعبة) و (الحقو) و (اهل فيفا) و (المسارحة) و (سامطة) و (بنو مالك) و (بنو غازي) و (هاروب) و (العارضة) و (فرسان) .

أما السراة فتنقسم الى ثمانية مراكز رئيسية هي :

١ ـ مدينة أبها : عاصمة مقاطعة عسير ، ويحيط بها اربع قبائل هي: (بنو مغيد) وهم رؤساء عسير سراة وتهامة و (علكم) و (ربيعة ورفيدة) و (بنو مالك) هذا بالاضافة الى القبائل التي تتبعها وتقيم في تهامة .

٢ ـ ناحية قحطان ومركزها ظهران الجنوب ، ويتبعها القبائل الآتية شريف وسنحان وقبائل همدان وعبيدة ومنهم آل الصقر وآل معمر وبني طلق وآل سليمان والحرقان وعرين وطريب والجحادر والحباب وآل الجمل .

وقبائل رفيدة اليمن وهم جارمة وخطاب ولحاف ووقشة ودعي وبنوقيس وآل جليحة وآل عرفان .

ووادعة والحباب وآل مهدي وآل مسعود وآل سعد والمشاعلة والمسادرة وآل محمد وآل الجمل ويقطن الجميع وادي تثليث .

٣ ـ شهران : ومركزها خميس شهران وتتبعها القبائل الآتية : آل رشيد ، آل الغمر ، بنو بجاد ، بنو واهب ، بنو منبه الحكم ، ناهس ، بنو مالك الشعف ، آل سرحان ، بنو جابرة ، واهل المسقى ، الجهرة ، بنو ماجور ، واهل تندحه .

٤ ـ يام وبنو مرة : ومقرها نجران وهي عشائر كثيرة .

٥ ـ صعدة : ويتبعها من القبائل حاشد وبكيل وهمدان الجنوبية .

٦ ـ بنو شهر : ومركزهم النماص وتتبعها القبائل الآتية : الكلائمة، العوامر ، شهر الشام ، شهر ثرامين ، بنو التيم بلحارث ، الشهارين،عبس، اهل خاط ، بنو حسين ، المجاردة .

اما قبيلتا بالاسمر وبالاحمر فهما تتبعان مدينة ابها لقربهما منها ، وان كانتا تتبعان رجال الحجر وهم بنو شهر وبنو عمرو .

وقد اصبحت مدينة تنومه مركز الامارة كلها :

٧ ـ غامد وزهران وبالقرن : ومركزهم رغدان ، ثم غدت الظفير والآن الباحة هي مقر الامارة ، وتتبع غامد القبائل الآتية : آل بلشهم ، بالجرشي ، آل الرهوة ، الحماء ، بنوضبيان ، بنو عبدالله ، بنو غنيم ، آل سيار ، آل زهران ، الهيجة ، قبيلة بني عدوان ، آل دوس ، آل بداء ، بنو كنانة ، بالخزو ، بطيل بني سليم ، الاحلاف .

٨ ـ قضاء بيشة : ومركزه (الروشن) وتتبعه القبائل الآتية : بنو سلول ، معاوية ، شهران ، السفاله ، بنو واهب ، بالقرن ، شمران ، الاحلاف ، الدواسر ، البقوم ، تبالة ، رنيه ، الخرمه ، يبه .



الباب الثاني

اسم قبائل عسير
قديماً وحديثاً

تنتسب قبائل عسير الى (أزد شنوءة) وهي قبائل باطراف اليمن من جهته الشمالية ، وكانوا يسمون مساكنهم باليمن مخاليف والواحد منها مخلاف (١) ويضاف المخلاف الى اسم القبيلة التي اختصت به ، وقد ذكر منها ياقوت الحموي في كتابه ٣٦ مخلافا .

---

(١) المخلاف : اسم ناحية قبيلة كما ذكره مالك بن نمط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه فقال : نصيت من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواح متصلة بحبائل الاسلام من مخلاف خارف ويام شاكر ــ أهل السود والقود ، اجابوا دعوة الرسول وفارقوا الالهات والانصاب ، عهدهم لا ينقص ما قامت لعلع وما جرى اليعفور بصلح ، فكتب لهم رسول الله كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله لمخلاف خارف واهل خباب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها ذي الشعار لمالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم مدعها ووهاطها ما اقاموا الصلاة واتوا الزكاة يأكلون في علافها ويرعون ما فيها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار .

وقبيلة الازد هم حي من كهلان من اصل قحطان وهم من اعظم الاحياء واكثرها بطونا . وقد قسم (الجوهري) قبائل الازد الى ثلاثة اقسام ، اولها (ازد شنوءة) ، وهم بنو نصر الملقب بـ (شنوءة) ، والثاني (أزد السراة) ويحلون بأطراف اليمن الشمالي نزلت فرق منهم فعرفوا به ، والثالث (أزد عمان) وعمان المنطقة الواقعة بين حضرموت والاحساء وقد اضيفت ازد الى عمان . ومن هنا يتضح ان اغلب سكان المقاطعات العسيرية انما ينتسب الى (ازد السراة) او (ازد شنوءة) كما يؤيد ذلك قول العالم العلامة الشيخ احمد بن علي بن مشرف في ديوانه اذ يقول :

ولا تنس ذا الحي اليماني انه ... لشيعة اهل الحق بالحق مقتدي
قبائل من همدان ومن شنوءة ... من الازد اتباع الرئيس المسود[1]
همو قد حموا للدين اذ فل عضبه ... وبدد منه الشمل كل مبدد
فهم فئة للمسلمين ومعقل ... وكهف منيع للشريد المطرد
سما للعلا حقا علي ولم يزل ... يروح بأسباب الجهاد ويغتدي
وكم عسكر للمسرفين أباده ... بحد الظبا والسمهري المسدد
وصيرهم صنفين ما بين هالك ... وبين أسير في الحديد مصفد
وما زال يغزوهم ويرمي ديارهم ... بفرسان حرب في الدلاص المسرد
وفتح (المخا) بالسيف للدين آية ... وزجر وانذار لاهل التمرد
فلما تولى علي عاضنامنه عائض[2] ... امام همام كالحسام المجرد
فما زال يحمي بالسيوف حمى الهدى ... ويردي العدا في كل جمع ومحشد

وفي رواية على اثر خروج (أبرهة الاشرم) الذي جند الجنود من صنعاء الى مكة المكرمة يريد ان يصرف العرب عن بيت الله الحرام وذلك

---

(١) الرئيس المسود : علي بن مجثل امير عسير .
(٢) عائض : هو الامير عائض بن مرعي ، واليه تنتسب أسرة آل عايض امراء عسير .

في عام الفيل الذي نص القرآن الكريم الى هذه الحادثة في سورة الفيل ؛ ولدى وصول ابرهة الى حدود مقاطعة عسير المسماة آنــذاك أزد السراة سميت بلاد (عسير) بذلك الاسم لصعوبة السير بين جبالها لان الفيــل الذي رافق (أبرهة الاشرم) يصعب عليه السير في الجبال ، اذ يسهل عليه المشي في الاراضي السهلية ، فلما وصل الى قرب (صعدة) عدل عن السير في الطريق المعتادة وهي الطريق الجبلية ، واخذ يمشي متجهــا لــلاراضي السهلية في الجهة الشرقية ، وترك المرور في بلاد الازد لان طرقها وعرة جداً، واطلق عليها اسم عسير من ذلك التاريخ • وقد اكتشف (ابرهة) طريقــا له تحاذي سلسلة جبال السراة تبتدىء من سهول (صعده) الــى بــلاد (ناهس) فـ (شهران) وتنتهي بالطائف بعد مرورها من الحواضر الكبرى؛ وسميت هذه الطريق ايضا طريق (سعد الكامل) باسم القائم على اصلاح تلك الطريق ، كما يوجد بها آثار بنــاء حتى الآن وحفريات في عــروض الجبال ، ومنها ما يوجد في قرية (الجزعة) والحصاد التابعة لقبيلة (وادعة)؛ كما يوجد بناية محكمة بالجبل المشرف على (خبت سلمان عبيدة) •

وفي الرواية الاخرى ان القسم الشمالي من اليمن المجاور لحــدود توابع الحجاز فيسمى اليوم عسيرا ، وهــي تسمية لم تعرف في القديــم ، وقبيلة عسير هم (أزد شنوءة) ، ومع هذا فان المؤرخ الشهير الحسن بن احمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك الهمداني المتوفي سنة ٣٣٤ هـ قد نص على ان هذه التسمية معروفة في القديم حيث قال في كتابه (أنساب قحطان) « واما (حكم) و (سعد) ابنا عمرو فاقاما في (عنز) مــع مــن تخلف من قومهما فهم بـ (الطور) من ارض (جرش) في (عنز) ابــن وائل . ولئلا تلتبس هذه القبائل بقبائل عنز بن وائل اثبتنا هنــا نسب عنز بن وائل . ولد عنز بن وائل ــ على ما اخبرني بعض من يصاليهم من (جنب) و (رفيــده) و (أراشه) فأولــد (رفيدة) : (ربيعة)، واولد

(أراشه) (عسيرا) و (قنابا) و (جندله) ، فولد عسير بن اراشه بن عنز (مالكا) و (تيما) • فولد (مالك) (غنما) و (جارحة) و (حديدا) و (تيما) ، فولد تيم بن مالك (زهيرا) و (سلمه) ا هـ ملخصا •

ولا يزال كثير من افخاذ قبائل عسير ينتمون الى هذه الاسماء التي ذكرها الهمداني ومع ان قبيلة بجيلة تسكن في سراة الحجاز الغربية في حدود القبائل التابعة للطائف بعيدة عن ديار عسير منذ العصر الجاهلي الى هذا العهد ، ولا تزال تتميز مكة المكرمة وما جاورها ببعض حاصلات بلاد (بجيلة) التي من اشهرها (اللوز البجلي) كما ينتسب الى هذه القبيلة (جرير بن عبدالله البجلي) الذي اخذ في نصرة الاسلام بحظ وافر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين • ولا تمت قبيلة (بجيلة) في الوقت الحاضر بصلة الى قبائل عسير على الرغم من ان اكثر افخاذ القومين من جذم قحطان •

وأما قبائل عسير فكما لا تخفى ديارها منذ القديم الى هذا العهد هي السلسلة الجبلية التي سماها الهمداني بـ (الطور) وتسمى الآن (طور ابن مرعي) نسبة الى امير تلك الديار والقبائل المعروفة وما جاورها•وتنتهي حدود عسير الجغرافية بحدود قبيلة (غامد) ، وهي فرع من قبيلة (بجيلة) المشهورة ، والارجح ان قبائل (عسير) و (بجيلة) انما ينتسون الى جد واحد ، وينتسب بعضهم الى بعض كما ذكر المصنف ملك الاشراف اليماني (ابو جعفر عمر بن يوسف بن رسول الغساني) نقلا عما وجده في نسخة تاريخية لحكام اليمن ، ونصها كما يأتي « اعلم ان قبائل الازد ست وعشرون قبيلة يجمعها اسم الازد وهي : جفنة ، غسان ، خزاعة ، مازن ، بارق ، ألمع ، الحجر ، العتيك ، راسب ، غامد ، معاوية ، وليد ، ثمالة ، واطب ، زهران ، بنو مالك ، دهمان ، الحدان ، شكر ، عك ، دوس ،

قحافه ، الجهاظمة ، الاثافرة ، قسافل ، فراهيد » انتهى . وذكر ايضا ان قبيلة الازد وخثعم وبجيلة وهمدان هـذه القبائل الاربع الرئيسية انما ينتسبون الى زيد بن كهلان وينتهي نسبه الى قحطان ومنهم عبس وشمران وسنحان وبنو عبيدة وزبيد وشهران وثعلبه وكعب وجنب ورفيده وأطاب وناهس وكود وبنو سلول .

وقبيلة بجيلة [1] تنتسب الى مالك بن زيد بن كهلان ، وهذه القبيلة بنو عم من تقدم ذكرهم من الازد وهمدان وخثعم الذي ينتهي نسبهم ايضا الى مالك بن زيد بن كهلان بن قحطان . ومن هذه الاسماء للقبائل من له بطون لا زالت معروفة بأسمائها حتى الآن بقبائل عسير في عصرنا الحاضر ويؤيد حقيقة تلك الاسماء ما جاء في معجم ياقوت الحموي «ج ٥ ص ٦٤» عند الكلام عن اسماء قبائل عسير وعلى موقعهم بالسراة قوله « قال ابو عمرو بن العلاء : افصح الناس اهل السروات وهي ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة ومما يلي اليمن اولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة وهي في السراة الوسطى وقد شاركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الازد (ازد شنوءة) وهم بنو كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر » انتهى. وقال ايضا عن الاصمعي (الطور جبل مشرف على عرفات شمالا وينقاد جنوبا الى صنعاء ويقال له السراة ، وانما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره ، فيقال سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ثم سراة قبائل الازد) انتهى .

ومما قاله ايضا الشاعر العلامة الشيخ علي بن حسن الحفظي يفتخر

---

(١) بجيلة : سميت هذه القبيلة باسم أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، وكانت بلادهم مع اخوانهم خثعم في سروات اليمن ثم افترقوا ايام الفتح الاسلامي .

في أبان حروب قبائل عسير مع جنود الاتراك في أواخر القرن الثالث عشر الهجري من قصيدة طويلة :

وان كنت عنها بالبعاد فسائلي ففيها اسود من معيد بمرصد
وفيها ليوث الازد من كل شيعة يصالون نار الحرب نارا لمسفد
ويا لك من ايام نصر تتابعت بها شواظ الحرب ذات التوقد
بأيدي رجال من «شنوءة» جدهم رقى بهم مجدا الى فوق فرقد

ونكتفي هنا بايضاح فروع قبائل الازد والمآثر التي يشار اليهـا في جهات المقاطعة العسيرية ، لانه مع شدة عناية العرب بالمحافظة على ذلك ومراعاة تسلسل الفروع واقسامها فانه من الصعب جدا وبسكان عظيم ان يتمكن الباحث من الوقوف على اصول جميع القبائل الموجودة في الوقت الحاضر بسبب ضياع قسم غير قليل مما كتبه المؤرخون عن الانساب والمآثر ، ومن الواضح انها حصلت خلال تلك العصور هجرات قبلية متعددة حلت فيها القبيلة محل الاخرى اما عن جدب او نتيجة حرب او غيرها او تكون قد غلبت على أمرها وأجلتها عن ديارها وشردتها بين القبائل الثانية فنسيها الناس او جهلوا أمرها .

قدوم وفود قبائل أزد السراة
على النبي صلى الله عليه وسلم

ان الوفود هم الجماعة المختارة من القبيلة للتقدم في لقاء العظماء . ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة وفرغ من غزوة تبوك ، واسلمت قبائل قريش جميعها وثقيف وهوازن وما اليها من العربان وفدت اليه وفود العرب من كل جهة ومنهم وفود الازد وايضاحها كما يأتي [1] :
١ ــ وفد قبائل الازد : ٢ ــ وفد صرد بن عبدالله الجرشي . ٣ ــ وفد ضماد الازدي . ٤ ــ وفد بني ثعلبة . ٥ ــ وفد غامد . ٦ ــ وفد سلمان [2] .

هذه هي الوفود التي قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته على الاسلام عن قومها ، وقد اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم وحسن هيئتهم ... وقد دخلت اقوامهم في الاسلام افواجا الا من كان ذا حسد وعناد فساقهم الله بالسيف وهو لغة الحسد والمعاندة .

---

(١) تاريخ حياة سيد العرب .
(٢) سلمان : قبيلة معروفة حتى الآن ، وهي من قبائل بني شهر التي تتبع ابها ، وقد كان رئيس الوفد فيهم حبيب بن عمر السلامي ، واثناء وجودهم عند رسول الله شكوا اليه جدب بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فقال «اللهم اسقهم الغيث في ديارهم» فلما عادوا الى بلادهم وجدوا انها قد امطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي تلك الساعة .

سيرة اشراف ابي عريش

ان تاريخ اشراف ابي عريش قديم غير ان المعلومات الكافية عندنا ناقصة جدا . ويرجع حكم اشراف ابي عريش بمنطقة تهامة عسير الى الاختلاف الذي كان بين سكان جبال اليمن في الجهة الجنوبية وبين قبائل عسير في الجهة الشمالية ، كما ظهر في سكان تهامة الجنوبية مذهب الزيدية بينما القسم الاكبر شوافع سنيون ، فنشأ عن هذه الاختلافات مشيخات قبائلية موضعية في اماكن عديدة اهمها حكومة (زبيد) التي كانت تشرف على النواحي التي يقطنها الشوافع في تهامتي عسير واليمن والمناطق الداخلية وتدافع أئمة صنعاء الزيديين عنها .

لقد بدأ اشراف ابي عريش يظهرون زعامة مشيخية منذ دخول الجيوش العثمانية الى الحجاز وعسير واليمن ففي عام ١٠٠٦ هجرية اتفق مشايخ قبائل تهامة وفيهم اشراف ابي عريش على القيام ضد الوالي حسن باشا الذي تولى المقاطعات اليمانية حينذاك بما فيها قسم كبير من تهامة عسير وذلك من عام ٩٨٨ ــ ١١٠٣ هـ ؛ وفي تلك الاثناء جهزت الدولة العثمانية حملة بقيادة احد موظفيها واشترك فيها بعض (اشراف ابي عريش) ومدينة (صبيا) للاستيلاء على نواحي (صعدة) ، والتقى بهذه الحملة جنود الامام من الزيدية قبل وصولها الى هدفها وافنوها ومزقوها بعد معارك دامية وهرب القائد العثماني الى ساحل البحر الاحمر عام ١٠٢٤ هـ ؛ وفي عام ١٠٣٤ هـ ثار امام صنعاء على الدولة العثمانية، وتمكن صالح بن احمد المؤيدي من استرجاع مدينة ابي عريش من ايديهم والاستيلاء على (صبيا) والحاقها بالامام الزيدي ، وبعد خمس سنوات من ذلك ارسل حاكم مصر قائدا جديدا الى اليمن يدعى (قانصوه)فتمكن من الاستيلاء على (ابي عريش) و (صبيا) ونواحي تهامة من أئمة اليمن الى الدولة العثمانية ، وهنا تنقطع بنا اخبار اشراف ابي عريش الاقدمين

الى اوائل القرن الماضي حينما ظهرت الدعوة السلفية بنجد على يد آل سعود .

اسماء امراء مناطق عسير في عصر ظهور الدعوة السلفية

على اثر الخلافات التي كانت سائدة بين سكان مناطق التهائم وجبال اليمن وكذلك قبائل عسير السراة نشأت امارات محلية اهمها :

١ ــ امارة آل المتحمي التي نشأت على يد حمود بن الهملان ومحمد بن عامر الرفيدي والمكنى ابو نقطة وذلك على قبائل سراة عسير ورجال ألمع ومحائل وما يليها ، وقاعدة هذه النواحي بلدة (طبب) التي تعلو حوالي ستة آلاف قدم عن سطح البحر ، وهي واقعة في اسفل وادي (تهلل) المنتهي في وادي (تيه) ، والقرية المذكورة في سلسلة جبال السراة بين آكام، ومؤلفة من خمس قرى صغيرة متفرقة ، وليس لها من سور وانما تحيط بها الجبال .

٢ ــ امارة آل شكبان في (بيشه) ، وقد اسسها سالم بن عبدالله ابن شكبان ، وقد كانت قاعدة قبائل المنطقة في (القاع) الواقعة بجانب وادي (بيشة) ، وانتقل مركز الحكم في عهد الحكم العثماني الى بلدة (الروشن) ولا زال حتى وقتنا الحاضر بل اصبحت اليوم من اهم المراكز الرئيسية لاستمرار مرور طرق المواصلات منها حيث تقع بين السهول ومراكز سلسلة الجبال ، كما انها قريبة من وادي الدواسر ونجران وفي الوقت نفسه فهي قريبة من نجد ، ويعد واديها من اعظم الوديان حيث تلتقي فيه اودية جبال السراة ويؤول في النهاية الى وادي الدواسر .

٣ ــ امارة عرار بن شار على القبائل الآتية : قبيلة (درب بني شعبة) و (الشقيق) وقبائل (رجال ألمع اليمن) و (قنا البحر) ، وقاعدة هذه النواحي (درب بني شعبة) التي تقع في اسفل وادي (ضلع) .

٤ ـ امارة الشريف منصور بن ناصر الحسني على قبائل (صبيا) و (الجعافرة) و (النجوع) وما الى تلك الجهات من عرب البادية، وقاعدة هذه الامارة بلدة (صبيا) التي تبعد عن ساحل البحر الاحمر (٣٠) ميلا، وهي في ارض رملية في اسفل اودية الجبال •

٥ ـ امارة الشريف حمود بن محمد الحسني على قبائل (ابوعريش) و (حرض) و (المضايا) واغلب القبائل الجبلية (بنو غازي) و (بنو مالك) ، وقاعدة هذه الامارة مدينة (ابو عريش) التي تبعد عن ساحل البحر الاحمر (٤٠) ميلا ، وتتوسط الاودية المنحدرة من جبال (فيفا) وجبال (بنو مالك) ، وهي مدينة كبيرة حينذاك •

٦ ـ مشيخة صالح بن عبد الملك على قبائل وادي (مور) وقبائل وادي (خلب) وقبائل (الحرث) وما اليهم من تلك الجهات وقاعدة هذه المشيخة ميناء (اللحية) ، وقد اشتهرت هذه المدينة بحصونها وابنيتها •

٧ ـ امارة صالح بن يحيى العلقي على قبائل (باجل) وبوادي ميناء الحديدة ، وقاعدة هذه الناحية (الحديدة) المشهورة بموقعها التجاري ، وهي مدينة كبيرة •

الباب الثالث

تاريخ المنطقة الحديث

ظهور الدعوة السلفية في نجد :

في عام ١١١٥ هجرية ولد لعبد الوهاب بن سليمان الوهيبي طفل في بلدة (العيينة) سماه محمدا ؛ وهو ينتسب الى قبيلة الوهبة من بني حنظلة من بني تميم ؛ واسرته ذات كيان وشرف ؛ ولها كرم المحتد وسخاء النفس والتواضع مما جعلها صاحبة كلمة مسموعة واحترام كبير في نواحي الجزيرة العربية جميعها ؛ كما كان بيته بيت علم واسع وادب وفقه وقضاء .

ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقد الرابع من العمر اتصل بالامير محمد بن سعود امير الدرعية وبايعه عام ١١٥٧ هـ على ان يكون اماما يتبعه المسلمون ، وتعاهد الاثنان على اعلاء كلمة التوحيد ونشرها بين العرب ؛ والتف حول الامير محمد بن سعود اخوته مشاري وفرحان وثنيان مؤازرين لهما ومستميتين في سبيل الدعوة فاشتد بذلك عضد الامير محمد بن سعود ؛ كما التف حولهما أهل بلدة الدرعية بأموالهم وانفسهم فعزت كلمة التوحيد في مدينة الدرعية التي غدت قاعدة البلاد ؛ وصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها المرجع الاعلى في العلوم والاحكام؛ وفي ايام يسيرة انتقلت الدرعية من حياة الجهالة والتأخر والظلمة الى حياة

باسمة مشرقة يزينها العلم النافع والادب السامي اذ عمرت المساجد بحلقات الدرس .

انتقلت الدعوة الى القبائل المجاورة لبلدة الدرعية ثم الى سائر اطراف نجد ، وحكم الامام محمد بن سعود قبيل وفاته عام ١١٧٩ هـ مملكة واسعة امتدت الى اطراف (بيشه) والتحمت قواته مع قوات الامير محمد بن احمد اليزيدي امير عسير حينذاك وهو من اولاد عمومة (عايض ابن مرعي) و (علي بن مجثل) و (سعيد بن مسلط) وانهزمت قوات عسير على الرغم من ان هذا الامير العسيري قد جهز قوة وصلت الى نجد ونزلت بمكان في وادي حنيفة الا ان هذه القوة قد ابيدت ، ولم ينج منها احد ، وسمي مكان نزول هذه القوة بمحطة عسير .

ولم يخلص من حكم الامام محمد بن سعود سوى بلدة الرياض والاحساء والقصيم اذ كان امير الرياض (دهام بن دوس) من المعارضين، ويغتنم كل فرصة للايقاع بأمير الدرعية ، وفي هذه الاثناء توفي الامام محمد ابن سعود عام ١١٧٩ هـ تاركا الامر لولده عبد العزيز بن محمد ، وقد قاد الجيوش منذ ايام ابيه لقتال المعارضين للدعوة السلفية . وقد استولى بعد ان آل الامر اليه على القصيم والرياض عام ١١٨٧ هـ .

وانتقم الامام عبد العزيز من ابن عريعر بن دجين وابن سعدون من قبيلة بني خالد ، كما شرع في شن الغارات على اطراف نجد فافتتح نواحي القصيم كافة ، ثم وجه عنايته على الجهات الغربية وبخاصة قبائل (عتيبة) وما جاورها من القبائل الخاضعة لاشراف مكة مما اوقع الخلاف بينه وبين الشريف غالب من ذوي زيد والتابع للدولة العثمانية ، فوجه الشريف طعنة نجلاء الى الامام عبد العزيز باعلانه منع قدوم الحجاج عن طريق نجد ، فقابله بالاستيلاء على الحجاز عنوة في /٤/ محرم عام ١٢١٨ هـ ، كما

سبق ان غزا ابنه سعود مقاطعة (الخرج) ومنطقة (الافــلاج) ووادي (الدواسر) حتى وصلت غزواته الى مقاطعة (عسير) غربا وساحل البحر الاحمر ثم الى (عمان) جنوبا ، ولم يكتف بذلك فشرع في ارسال السرايا الى حدود العراق والجهات المجاورة لها . كما بعث الرسل والرسائل الى امراء عسير السراة وتهامة وهم : (محمد بن عامر الرفيدي ابو نقطــة) واشراف (ابي عريش) و (صبيا) و (عرار بن شار الشعبي) و (سالــم ابن شكبان) امير بيشة شهران ، وارسل كتابا خاصا الى الامــير (محمد ابن اسماعيل الصنعاني) ، وقد دعا المذكورين الى الاتفاق والتعاون لاعلاء كلمة التوحيد وهي ما دعا اليها رسل الله كافة فمن تمسك بها وعمل على تأييدها ايده الله بروح من عنده وملكه البلاد والعباد ، فالارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

وما زال يحث امراء ووجهاء مقاطعة عسير على الدخول في الطــاعة وتجديد معالم الدين . اما محمد بن عامر ابو نقطة فتلقى دعوة الامام عبد العزيز بالقبول واجابه بالانقياد ، كما بعث اليه قصيدة من نظم الشيــخ العلامة احمد بن محمد الحفظي مؤيدا ظهور الدعوة السلفية .

وكذلك ايد الدعوة السلفية كل من سالم بن شكبان من رؤساء بيشة وذلك على يد امير الدواسر حينذاك (ربيع بن زيد) ، والامير محمد بــن اسماعيل الصنعاني .

وفي سنة ١٢١٣ هـ غزا امير الدواسر (ربيع بن زيد) بأهل البوادي وبعض قبائل بادية قحطان ، ونازلوا بلدة (بيشة) ، وحــاصروها حصارا شديدا ثم استولوا عليها بعد قتل الامير (مرعي بن محمد) والد الامــير (عايض بن مرعي) امير عسير في المستقبل ورأس اسرة عايض التي حكمت المنطقة فيما بعد ، والذي نسبت اليه ايضا السراة فيقال عنها (طــور ابن

مرعي) عند قبائل نجد • وقد دخلوا بعض نواحي المنطقة عنـوة وبعضها الآخر صلحا ، وأصدر الامام عبد العزيز أمرا بتعيين (سالم بن شكبان) امـيرا على مركز (بيشة) وما يجاورهـا لصلاح نيته وصدقه فـي نشر الدعوة •

وفي هذه السنة انتشرت الدعوة السلفية في نواحي عسير وتلقاهـا محمد بن عامر ابو نقطة بعد قتله الامير محمد بن احمد اليزيدي ، وقـد بايع اهل عسير على السمع والطاعة • وفي تلك الاثناء طلب الامير محمـد ابن عامر ابو نقطة من الامام عبد العزيز ارسال سريـة من غزاة المسلـين لتأديب القبائل التابعة الى عسير بجهة تهامة تبتدىء بدرب بني شعبـة واميرهم (عزار بن شار) والمعروف بـ (ابن شلة الشعبي) وتنتهي بأشراف ابي عريش ، فارسل الامام عبد العزيز (خزام بن عامر العجماني) في نحو ١٥٠ فارسا من فرسان نجد ونحو ٥٠٠ نفر من أهل الركايب (المطايا) ، وعند وصولهم (بيشة) فاذا بأمير درب بني شعبة (عرار بن شار) يقدم على امير عسير (محمد بن عامر ابو نقطة) معلنا السمع والطاعة لخزام بن عامر ومن معه من النجديين الذين واصلوا سيرهم حتى عسير حيث حصل استقبال عظيم من لدن امير عسير السراة ابو نقطة وقد اخبرهم بما تم بينه وبين (عرار بن شار) مما جعلهم يتفقون جميعا على غزو جهة تهامة ابـي عريش •

نزل الجيش السلفي الى تهامة عن طريق عقبة (المناظر) المسماة الآن عقبة (ضلع) وعند وصولهم الى بلدة (درب بني شعبة) ارسلوا الرسل والرسائل الى رؤساء عشائر تهامـة كافة للدخول في الطاعـة ، وعندما وصلوا الى الموقع المسمى (خبت السادة) وفدت عليهم قبائـل المخلاف الشامي والبادية المجاورة له ، يرأسهم السادة (النعميون) فلم يلتفتـوا اليهم ، واستمروا في سيرهم ــ وقد التف معهم جمع غفير من عربان عسير،

فلما نزلوا (صبيا) استقبلهم اميرها الشريف (منصور بن ناصر) ، كما اتصل بهم من مدينة (ابو عريش) بعض اعيانها ووجهائها برئاسة الشريف (يحيي بن محمد الحسني) والشيخ العلامة (احمد بن عبدالله الضمدي)، وعاهدوا على السمع والطاعة والعمل على نشر الدعوة السلفية في انحاء تهامة جميعها ، واكتفى (خزام بن عامر العجماني) بما حصل عليه بعد ان رأى تعب جنده من حر تهامة ووبائها فعاد بمن معه الى السراة ومنها الى نجد بعد ان اتفق مع الامير محمد بن عامر ابو نقطة على الجهاد في المقاطعات العسيرية كافة وانفاذ ما يراه لازما من ادارة الامور والرفع الى الامام عبد العزيز بكل قضية .



الفصل الأول

إمارة آل المتحمي

١٢١٥ – ١٢٣٣ هـ

بعد عودة خزام بن عامر العجماني ومن معه من النجديين من عسير إلى ديارهم استقل محمد بن عامر بالامر ، وشرع في اصلاح الامور الادارية بما اعطي من دهاء وحكمة . وظهر صيته ، وكانت سلطته على مقاطعة عسير عامة ، وآزره الامير سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل على نشر الدعـوة السلفية . ولم يمض كبير وقت حتى نقض العهد امير ابي عريش الشريف حمود المكنى ابو مسمار وساعده ايضا امير قبائل ضمد والشريف محمـد بن حيدر ، وكتبوا جميعا الى امام صنعاء لمساعدتهم ضد الامراء الـذين يتصلون بالامام عبد العزيز بن محمد ، الامر الذي جعل محمد بن عـامر ابو نقطة امير عسير يرفع الامر الى الدرعية وفي الوقت نفسه فقـد خرجت بعض قبائل رجال ألمع عن طاعة امير عسير .

لما وصل الخبر الى الامام عبد العزيز في الدرعية اصدر امره بارسال سريتين تكونان تحت قيادة امير عسير لردع الخارجين عن الطاعة . وكانت السرية الاولى بقيادة امير الدواسر ربيع بن زيد وسيف بن محمد وغزاة بيشة . ولما وصلت هذه الحملة الى قرية (حجلا) قرب آبها كان امير عسير محمد بن عامر قد انتصر على رجال ألمع وأعادهم الى الطاعة .

استقبلت عسير جنود نجد في (حجلا) ، وتذاكر الجميع في الامور

الدينية ، وطلب من جند عسير حلق شعور رؤوسهم اذ درجت المادة هناك حينذاك على ذلك ، فامتثلوا حتى سمي ذلـك العام (١٣١٥ هـ) بعـام (الدرماح) .

وصلت السرية الثانية [1] من نجد وكانت بقيادة (خزام بن عـامر العجماني) ويرافقه مروان بن محمد القحطاني وربيع بن مسفرالدوسري.

اتفق (خزام بن عامر العجماني) و (ربيع بن زيد) و (محمـد بن عامر ابو نقطة) على تأديب الشريف حمود ، فساروا نحوه ، وانضم اليهم اثناء سيرهم (عرار بن شار) في درب بني شعبة والشريف منصور وقبائل (صبيا) ، واستولى الجميع على المناطق المجاورة لابي عريش و (ضمد) و (الملحا) ، ثم عسكروا في قرية (الضية) ، وعقدوا هدنة مـع الشريف حمود لاسباب سياسية وفرق الشريف حمود جنود إمام صنعـاء الذين جاءوا اليه .

. تعهد (الشريف منصور) والسيد (احمد العلقي) امير بيش ومخلاف الساحل و (عرار بن شار) على نشر الدعوة السلفية في مناطقهم وملاحظة الشريف حمود وعداوته ما دام على حالته ، وعاد (خزام بن عامر) و (ربيع بن زيد) و (محمد بن عامر) الى السراة ، ومنها عاد الى نجد اهلها .

كاتب الشريف حمود امام صنعاء وطلب الجنود والامدادات ، كمـا راسل اهـل (صعدة) واهـل نجران وقبائل (حـاشد) و (بكيـل) و (همدان) ، وكان يريد السيطرة عـلى (صبيا) و (مخـلاف بيش) و (درب بني شعبة) ومنع الجنود النجدية والعسيرية من النزول الـى تهامة .

---

(١) تضم السرية ٥٠٠ – ١٠٠٠ رجل .

سافر الامير محمد بن عامر ابو نقطة الى الدرعية وكان معه اخـوه عبد الوهاب وبعض وجهاء عسير ، وهناك عينه الامام عبد العزيز بن محمد اميرا على مقاطعة عسير جميعها تهامة وسراة ، وقد تردد محمد بن عامر في قبول الامارة كما امتنع اخوه عبد الوهاب في قبولها واخيرا قبلها محمد ، واشترط الامام عبد العزيز على ابي نقطة قتال الشريف حمود امـير ابـي عريش وفتح الجهات اليمانية ونشر الدعوة السلفية في تلك الجهات، وعند عودته حمل من الامام رسائل الى امير بيشة وشهران (سالم بن شكبان) ولبقية امراء السراة وتهامة يأمرهم بالسمع والطاعة والانقياد لمحمـد ابي نقطة ومساعدته بالجند والمؤن لقتال الشريف حمود .

عاد الامير محمد بن عامر الى عسير ولما وصل قريبا من وادي (رنيه) أصيب بمرض الجدري فوافته المنيـة في شهر جمادي الاولى عام ١٢١٥ هجرية ، وما ان وصل اخوه عبد الوهاب الى (طبب) مركز امارة عسير آنذاك حتى اتفق الاعيان والوجهاء في المنطقة على مبايعته اميرا على المنطقة فقبل ذلك بعد موافقة الامام عبد العزيز .

امر الامام عبد العزيز بن محمد عبد الوهاب بن عامر الاستيلاء على ابي عريش والقبض على الشريف حمود الذي نقض العهود والمواثيـق ، وبخاصة ان الامام عبد العزيز كان قـد جاءه الشريف قاسم بن طـالب الحواجي مندوب الشريف منصور امير صبيا يستحثه على قتال الشريف حمود .

سار الامير عبـد الوهاب بن عامر بقبائل عسير وقحطـان وشهران ورجال ألمع ، وبلغ عدد جنده اكثر من عشرين الفا ، واتجه بهم نحو تهامة حتى وصل الى صبيا ، وكان معه عرار بن شار والشيخ محمد بن عبـد الهادي والشيخ بكري وهم من علماء ذلك الزمن والشيخ محمد بن احمد الحفظي ولد العلامة احمد بن عبد القادر .

عسكر الامير عبد الوهاب بن عامر في وادي صبيا فقدم عليه امير صبيا الشريف منصور وامير مخلاف بيش احمد العلقي ، ثم ارتحلوا الى وادي ضمد حيث جاءهم ايضا الشريف يحيى بن محمد والشريف محمد ابن حيدر وهما من التابعين لامير (ابو عريش) فبايعا على السمع والطاعة كما سبق ان بايعا خزام بن عامر .

زحف الجيش بقيادة الامير عبد الوهاب نحو مدينة (ابو عريش) ، وعندما اصبح على بعد ميلين منها عسكر هناك ، ووصل المخيم الى اقدام الجبل المعروف بـ (الجراد) في الجهة الشرقية من المدينة . امر عبد الوهاب بحصار المدينة واطلاق الرصاص لارهاب السكان واخافة الشريف حمود، وذلك وقت صلاة العصر . وما ان خرج سكان ابي عريش من المسجدحتى هرعوا الى اميرهم الذي رتب الجند ، وقسم الفرق ، وجعل اقوى القطع في محلة (المثناة) وخطب قائلا (لا يروعكم ما ترون من كثرة الخيام او ما سمعتم من كثرة الرمي فان هذا لا يدل على كثرة الاقوام ... انما يريدون الارهاب واسترقاق قلب من لا يألف الطعان والضراب ... اعلموا انهم لنا غنيمة وسيوفنا لهم قيمة والوعد غدا ان شاء الله ..)

بعث الامير عبد الوهاب مندوبا الى الشريف حمود ومعه رسالة يعرض عليه فيها الدخول في الطاعة ويحذره من فتح الباب لقتال المسلمين، وعندما اجتمع المندوب بالشريف حمود قال الشريف « لولا انك الذي عرف من القوم ولولا التحذير من قتل الرسل لما رجعت سالما » فأجاب المندوب : « ايها الشريف جئتك والله ناصحا ومخبرك الخبر اليقين، جئتك من قوم يرون القتل غنيمة وعندهم مؤن كثيرة ان ظفروا بك ما ابقوا لك قائمة ، وان ظفرت بهم عجز جندك عن حمل اسلحتهم لكثرتها .... » غضب الشريف حمود وقال للمندوب : ليس عندي جواب لك فارجع من حيث جئت ...

رجع مندوب عبد الوهاب الى قومه واعلمهم باصرار الشريف على القتال وان معه جند تهامة وهمدان وقبائل سحار • وكان بين عرار بن شار وبعض اهالي (ابو عريش) مراسلات بأنهم لا يريدون الحرب ويرغبون في الطاعة ، وقد علم الشريف بخبر ذلك فألقى القبض على كل من كان له صلة باحد من رجال عبد الوهاب ، واذاقهم مر العذاب •

وفي صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان عام ١٢١٧ هـ اذن الفجر ، وصلى الناس ، واتجهت جنود عبد الوهاب باتجاه المدينة مكبرين وشعارهم « يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين » فالتحم الجيشان ، وتقدم جيش عبد الوهاب يقتحم حصنا بعد آخر حتى تم فتح المدينة بما فيها حصون الاشراف المسماة (دار النصر) و (الشامخ) •

وجاء مندوب عبد الوهاب الى قصور الاشراف يدعوهم لمقابلة الامير عبد الوهاب فجاءوا برئاسة الشريف حمود ، وفي ١٩ رمضان قابلوا عبد الوهاب وقد اعلن الشريف حمود اسفه على ما فات وابدى السمع والطاعة، وبايع على قبول الدعوة السلفية وامامة عبد العزيز بن محمد • وبقي الشريف حمود في ضيافة عبد الوهاب مكرما ، ولم يبحث في ذلك الموقف وضع الامارة •

اختلف الاشراف على الامارة ، كما اختلف اصحاب عبد الوهاب في ذلك عندما استشارهم في هذا الشأن اذ اشار الشريف منصور باسناد الامارة الى الشريف محمد بن حيدر ، واقترح احمد العلقي وعرار بن شار بابقاء الشريف حمود (ابو مسمار) بشروط دقيقة ، واشار بعضهم الآخر باعطاء « ابو عريش » الى يحيى بن محمد الذي سبق له ان عاهد خزام بن عامر العجماني •

استدعى الامير عبد الوهاب الشريف حمود الى معسكره ثانية

وبحضور الاعيان وأهل الحل والعقد ورؤساء الجند وافهم الشريف حمود بانه تفضل عليه باعادته للامارة واخذ منه العهود والمواثيق بموجب شروط قاسية ومنها ان يقاتل القبائل الجنوبية وان يبسط نفوذ الامام عبد العزيز على تلك الارجاء ، وان يظهر العداء لامام صنعاء ومحاربته . كما اوضح له ان هذه الامارة مرهونة بموافقة الامام عبد العزيز بالدرعية ، فما كان من الشريف حمود الا ان اظهر الموافقة والانقياد والطاعة ، فاطلق عبد الوهاب سراحه ومن معه من وجهاء (ابو عريش) فعادوا الى مدينتهم بعد ان القى عبد الوهاب كلمة دينية اوضح فيها واجب الدعاة السلفيين .

نادى الامير عبد الوهاب يوم ٢٨ رمضان ١٢١٧ هـ بالرحيل ، وعاد على رأس جيشه عن طريق صبيا فعين الشريف منصور اميرا عليها وعلى ما يتبعها من بادية وحاضرة ، كما اقر امارة السيد احمد العلقي على مخلاف (بيش) وامارة عرار بن شار على قبائل درب بني شعبة ، وعاد الى السراة عن طريق عقبة (مناظر) المسماة الآن عقبة (ضلع) . وعندما وصل الجند الى مركز ابها تمثل احد الرؤساء قول الشاعر :

وألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عيناً بالاياب المسافر

اما الشريف حمود فقد نظر الى ما حل بمدينته من خراب وتفرق جيشه فتمثل قائلا :

قد تفرقوا شذر مذر   ونفذوا الى كل خن ومدر

ومع هواجس نفسه تجاه العهود والمواثيق التي اعطاها لعبد الوهاب فقد غزا بما بقي معه من خوافي جيشه بلاد قبائل (بالحرث) ودعاهم الى الدخول في الطاعة فأجابوه وجاءه وفدهم برئاسة الشريف طاهر ، كما كتب الى قبائل خولان الشام واهل جبال الظاهر وما وراءها من قبائل « طلان »

و « حيدان » واهل خولان الشرقيين الذين يتبعون قبائل امير صعده في عهد الامام القاسم . وقد تتج عن هذه الكتب والرسائل الصلح وقبـول الدعوة السلفية • وبعد ذلك استولى الشريف حمـود على بلاد قبيلـة (دارس) و (بنومروان) . كما بعث سرية بقيادة ابن اخيه الشريف علي ابن حيدر الى الجهات اليمانية يدعوهم الى الطاعة له وللامام عبد العزيز ، وطلب منه ان يقر من يمتثل ويأخذ منه العهد والميثاق ، ويقاتل من يأبى •

سيّر الشريف حمود سرية جعل عليها الشريف علي فدانت له القبائل حتى حرض فولى عليها (احمد بن علي معوز) ، ثم نزل الى بـلاد عبس فاستقبله (آل تواب) ورؤساء قبائل تلك الجهات فعين عليهم (احمد بن مقبول) ، ثم سار الى بلاد قبائل (الواعظات) وهي آخر المنـاطق التي استولى عليهـا أشراف (ابو عريش) • وسيّر الشريف حمود سرية ثانية وجعل عليها اميرا (يحيى بن علي) اتجهت الى بلاد قبائـل (الزعليـة) و (آل صليل) ، ثم التحقت بالسرية الاولى واتجه الجميـع نحو وادي (مورْ) المشهورة بالحصون المنيعة والقبائل الكثيرة فدانت بالطاعة ، ثـم تقدم جيش الشريف نحو (اللحية) التي كان اميرها (صالح بن عبدالملك)، فطلبوا من (صالح) هذا ان يدخل في الطاعة وان يخلع ولاية امام صنعاء فأبى فحاصروا (اللحية) وفي الوقت نفسه جاءت سفن من (الشقيـق) تحمل غزاة من عسير فحاصروا الميناء من جهة البحر فلما اشتـد الحصار تقهقر المدافعون عن المدينة الى (الحديدة) • وبعث من بقي في (اللحية) من السكان السيد (حسن النعمي) الى الشريف حمود يطلب الامان لهم، وعندها سار الشريف حمود ومن معه من الجند من وادي (مور) حيث كانوا هناك فدخل (اللحية) واخذ الاموال من تجارها باسم الامير (عبد الوهاب) ، وارسل الشريف حمود حملة بقيادة (يحي بن حيدر) الـى (الحديدة) في الوقت الذي عاد هو فيه الى وادي (مور) • تجمع اهـل

(الحديدة) و (بيت الفقيه) بقيادة (علي حميدة) . كما لم (صالح بن عبد الملك) فلول جيشه السابق والتقى الجميع بجيش الشريف (يحيى ابن حيدر) فهزموه فعاد الى قرية (الجبان) ، فلما وصل الخبر الى الشريف حمود طلب من جيشه ان يعود اليه في وادي (مور) ومن هناك انسحب الى (ابو عريش) خوفا من قطع طريق العودة عليه .

وصل الشريف حمود الى (ابو عريش) وبعد ان استقر في قاعدته ارسل الشريف (الحسن بن شبير الحسني) الى الامام عبد العزيز بالدرعية دون علم الامير (عبد الوهاب) ، وطلب منه ان يكون امره منه واليه دون واسطة زعيم عسير ، فكان جواب الامام عبد العزيز مرنا مما طمأن الشريف حمود وجعله يوالي ارسال الغزاة الى جهات (الحديدة) وما يليها لبث الدعوة السلفية ، وفي الوقت نفسه لم يكن يشعر باحترام رسل الامير عبد الوهاب بل ان مخاطبتهم له كانت غير عادية بالنسبة له بل لم يكن يتعودها من قبل .

استمال الشريف حمود امراء تهامة اليه وفكر في عدم الاصغاء الى عبد الوهاب واوامره ؛ وارسل وفدا الى الدرعية يطلب فصله عن امير السراة كليا لما يرى في نفسه من كفاءة في النهوض بالدعوة ؛ وأخذ يجتهد باتخاذ الوسائل والاسباب للحصول على مراده .

قتل الامام عبد العزيز عام ١٢١٨ هـ غدرا في مسجد (الطريف) المعروف في مدينة الدرعية على يد المدعو (عثمان كردي) وهو من (العمارية) قريبا من مدينة الموصل في بلاد الاكراد اثناء ادائه صلاة العصر . وبايع الناس ابنه سعودا اماما للمسلمين .

ارسل الشريف حمود وفدا مؤلفا من ثلاثة رجال من اعيان بلاده هم : (الحسن بن خالد الحازمي) وابن أخيه الشريف (منصور الحسني)

والشريف (احمد بن حيدر) لمبايعة الامام سعود الكبير نيابة عن الشريف حمود اضافة الى المراجعة في طلبه السابق في استقلال (ابو عريش) عن عسير بأن تكون تبعية الشريف حمود الى امام الدرعية مباشرة دون وساطة امير السراة عبد الوهاب . ولكنه في الوقت نفسه كتب الى الامير عبد الوهاب يخبره بارسال الوفد الى الدرعية للتعزية والبيعة .

وصل الوفد الى الدرعية فاستقبل بالحفاوة ، وطلب من الامام سعود في عدة جلسات فصل امارة عبد الوهاب عن تهامة وان الشريف حمود يتعهد بفتح جهات اليمن ، فوافق الامام سعود بشرط ان يكون الشريف حمود محببا ومنقادا للامير عبد الوهاب اذا استنفره للجهاد الى اية جهة كانت . وقد سر الشريف حمود بهذه النتيجة .

بلغ الامير عبد الوهاب خبر انفصال الشريف حمود عنه ورجوعه في اموره كلها الى الامام سعود ، وكذلك انفصال الشريف منصور امير صبيا بمنطقته فحقد على الاشراف وبخاصة انه يعلم اختلافهم فيما بينهم ، كما ان الوشاة قد لعبوا دورهم في زيادة بعد الشقة بين عبد الوهاب واشراف المنطقة ، واصبح كل خبر ينقل الى الامام سعود الذي كان يميل الى عبد الوهاب ويؤمن بصلاحه وبقيادته ، لذا كان يكتب للشريف حمود للتقيد بأوامر عبد الوهاب .

شغل الشريف حمود باخضاع القبائل الجبلية لسيطرته ، وارسال ابن اخيه الشريف حسن بن حسين لقتال امير الحديدة صالح بن يحيى الذي كان قد استولى على بلدة الزيدية من املاك الشريف حمود . وفي هذه الاثناء امر الامام سعود الامير عبد الوهاب غزو مكة المكرمة عن طريق تهامة وساحل البحر فخرج عبد الوهاب مسرعا في شهر شعبان ١٢١٨، وهو في الطريق الى مكة وصل اليه خبر دخول الامام سعود مكة وهرب شريفها

(غالب) الى جدة التي طوقت من قبل جنود نجد ، ولكن لم يلبث الامام سعود ان اضطر الى فك الحصار عن جده وعاد الى نجد بعد ان ترك جنودا له في مكة المكرمة .

اما عبد الوهاب وجنده فقد بقوا في (الليث) سبعين ليلة ، ووقعت حروب ومناوشات بينه وبين الشريف غالب الذي بقي في جده ، وبعد ما يقرب من ثلاث عشرة غزوة دخل عبد الوهاب مكة مع جنده ورتب فيها اربعمائة نفر من رجال عسير الموثوق بهم اضافة الى جند نجد المرابطين من قبل . وعاد عبد الوهاب الى عسير . ولم يلبث الشريف غالب ان جمع حشدا من اطراف الحجاز ونواحي جده وهاجم مكة فاستطاع دخولها بعد ان دحر جند عسير ونجد الذين فيها .

امر الامام سعود امراء المقاطعات جميعا غزو مكة للمرة الثانية ، وطلب من عبد الوهاب ان يسير مع اهل اليمن بما فيهم (ابو عريش) و (صبيا) و (درب بني شعبة) ، وان يكون هو القائد العام لهم ، وان يتجه عن طريق ساحل البحر الى جده .

طلب الامير عبد الوهاب من امراء مقاطعات عسير ان يجهزوا الجيوش من مناطقهم ويلحقوا به ، وبالفعل ارسل امير صبيا الشريف منصور جنده وارسلهم بامرة احد اقاربه ، وقد لحقوا عبد الوهاب قرب وادي (حلي بن يعقوب) ، وبعث امير (درب بني شعبة) عرار بن شار جنده بقيادة اخيه (عيسى بن شار) ، وانضموا الى جيش عبد الوهاب قرب بلدة (الليث) ، وكان تأخرهم هذا سببا في عقوبتهم اذ قرر عبد الوهاب اخذ سلامهم واعادتهم الى منطقتهم ، ثم عدل عن ذلك اذ رأى المصلحة في بقائهم بجانبه لاحراز النصر على خصمه .

سار الامير عبد الوهاب على رأس الجيش الذي بلغ تعداده ما يقرب من عشرة آلاف ، ووصل الى جبال (يلملم) المسماة الآن بـ (السعدية)

وهي محل ميقات احرام حجاج اليمن ، وهناك التقت طوالع جيشه المرتبة سبورا [1] . ويقدر عددها بخمسين رجلا وهم من قبيلة بني (مغيد) التقت بجند الشريف غالب والتي يزيد عـددها على عشرة آلاف مقاتـل وتضم عساكر مصرية وتركية وبعض عربان الحجاز اذ كان الشريف غالب يريـد مباغتة عبد الوهاب في مخيمه • وبدأ القتال بين الفريقين وقتل من جنـد عبد الوهاب ٣٤ رجلا وهم في صلاة الصبح •

سمع عبد الوهاب وجيشه بما وقع لطلائعه فاسرعوا لنجدتهم فالتحم الفريقان في معركة داميـة دامت يومين وانتهت بهزيمـة الشريف غـالب وانتصار اهل عسير ••• وقد ربح العسيريون ٢٥٠٠ بندقية وعددا مـن المدافع الضخمة واكثر الذخائر والامتعة ، وترك جند الشريف غالب عـلى أرض المعركة ثلاثة آلاف قتيل منهم عدد من الاشراف وقادة الجند •

رجع الشريف غالب الى مكة المكرمة يستعد للمقاومة ، وعاد الامير عبد الوهاب الى عسير ايضا يحمل الغنائم ، وعندما وصل الى (حلي بـن يعقوب) أراد أن يعاقب الذين تأخروا في اللحاق بجيشه وهم جند (درب بني شعبه) ، وقد قرر ان يأخذ ما معهم من خيول تأديبا لهم ، وتم ذلك ، فلما وصل الخبر الى امير (عرار بن شار) شق عصا الطاعة واخذ يسعى فـي اسباب الاختلاف اذ استمال اليه (رجال ألمع) واتفق معهم ان يكون يـدا واحدة ضد امير السراة عبد الوهاب وان يحاربوه ومن كان في طاعته على الا يخرجوا عن طاعة الامام سعود •

بلغ عبد الوهاب خبر (عرار بن شار) ومن اتفق معه فاسرع بغزوهم ونزل ببلاد (رجال ألمع الشام) ، وخرج (عرار) بقومه واتجه الى بـلاد

---

(١) السبور : جمع سبر بمعنى حارس القوم خيفة الهجوم عليهم وهي لهجة عسيرية .

(رجال ألمع اليمن) بعد ان كتب الى اشراف (ابو عريش) و (صبيا) يطلب نجدتهم بارسال جنود حسب الشروط المتفق عليها فيما بينهم، فبعث الشريف حمود امير (ابو عريش) غزاة من قومه برئاسة (يحي بن علي) ووصلوا الى وادي (عتود) ، ووصل (عرار) الى قرية (رجال) [1] ومنها الى قرية (الشعبين) ولكن لم يصلوا الى هناك الا وجنود عبد الوهاب قد أثخنت في قتل قبائل تلك الجبال الالمعية حتى دخل اليهم الرعب وتقهقروا طالبين العفو وقبول الانقياد لعبد الوهاب واعلان الطاعة ، فقبل عبد الوهاب ، منهم ، واشترط اخذ اسلحتهم ، ومنابذة (عرار بن شار) ومن تبعه ، وكان عرار قد هرب وقومه وعاد الى (درب بني شعبة) .

لم يكتف الامير عبد الوهاب بهذا بل طلب من الامام سعود الموافقة على تأديب امراء تهامة بما فيهم اشراف (صبيا) و (ابو عريش) ومن تبعهم بالخروج عن الطاعة . وافق الامام سعود على ذلك ، فأخذ عبد الوهاب يعد العدة وبعد ذلك توجه الى تهامة عن طريق عقبة (مناظر)[2] ، فوصل الى وادي (عتود) ومنه سار حتى نزل في مكان يسمى (الحنين)[3] قريبا من (صبيا) ، وبذلك يكون قد ترك (بيش) و (درب بني شعبة) في مؤخرته .

---

(١) رجال : قرية مشهورة بالتجارة لقربها من موانيء البحر الاحمر ، وهي القرية الرئيسية لقبائل رجال ألمع .

(٢) عقبة مناظر : تسمى اليوم عقبة ضلع ، وهي متصلة بمركز ابها ، وينتهي واديها قرب (درب بني شعبة) .

(٣) الحنين : مكان بين جبل (عكاد) وجبل) عكوتين (، وهما الجبلان اللذان يقول فيهما عمارة اليماني :

اذا رأيت جبل عكادي وعكوتين من بلادي
فاستبشري يا عيني بالرقاد

اما عرار بن شار فقد هرب ملتجئا الى (أبو عريش) حيث صديقه الشريف حمود ابو مسمار ، وكان عرار بن شار ذا نفوذ كبير اذ تمتد سلطته على قبائل الجبال التهامية القاطنة من مركز (محايل) و (قنا البحر) الى (الشقيق) وقبائل (بني زيد) و (درب بني شعبة) .

أما عبد الوهاب فقد أرسل قسما من جيشه الى (درب بني شعبة) فاحتلها ، واخذ ما فيها ، وهدم قصورها وأحرقها ، وبعث القسم الثاني الى (الشقيق) فهدم حصونها ، ونهب ما فيها ، وادب تلك القبائل . ثم اقبلت اليه الوفود فعاهدت عبد الوهاب بعد ان اشترط اخذ اسلحتها وتعيين امير عليها من حاشيته .

بعد ان اكمل عبد الوهاب تأديب القبائل التابعة لـ (عرار بن شار) ارسل قسما من جنده عن طريق البحر لحصار ميناء (اللحية) التابعة للشريف حمود ، وفيها (يحيى بن حيدر) اميرا عليها ، فلما احاطت الجنود العسيرية بـ (اللحية) طلب اخيرها النجدة من الشريف حمود الذي كان في ذعر شديد ، فاعتذر وحاول عبثا ارضاء عبد الوهاب باظهار الاعذار ولكن وجود (عرار بن شار) في منزله ملتجئا ابطل كل عذر وفي الوقت نفسه كان على الشريف حمود حماية عرار من خصمه .

ضيق عبد الوهاب الحصار على الشريف حمود برا وبحرا ثم ارسل مع بعض العلماء رسالة اليه والى اشراف وعلماء « ابو عريش » جاء فيها :
(بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الوهاب بن عامر والشريف حسن بن مشاري ومحمد بن احمد الحفظي الى من يراه من اشراف « ابو عريش » حمود بن محمد واخوانه و ..... وحسن بن خالد :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد :

فقد وصلنا الى هذه الجهات ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله اولها التوحيد قولا وعملا واعتقادا ثم قبول توابعه من الفرائض وترك الشرك جليا وخفيا ثم ترك توابعه من المعاصي ، فان اجبتم ولبيتم فأنتم في ذمة الله وفي وجه الله ثم في وجه عبد الوهاب وكل من دخل في مدخلكم ، وان اردتم استخبار ما لدينا من الامور الدينية فمن وصل منكم بصحبة مندوبنا فهو في ذمة الله ثم في ذمة عبد الوهاب فان دخل ورضي واتبع والا رجع آمنا ثم النصر بيد الله ، وقد وعدنا بنصر دينه ، وهو لا يخلف الميعاد . ولا حول ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم) . وفي الوقت الذي كان الحصار فيه على اشده اذ بوفد من الامام سعود يصل الى (ابو عريش) بسهمة وقف القتال والوقوف على الحقائق التي سببته .

قدم الوفد اوراقه الى الامير عبد الوهاب بكف القتال فامتثل للامر، وامر جنده بالعودة الى ديارهم ، واستعد للسفر الى الدرعية مع عدة اشخاص من وجهاء القوم . ثم انتقل الوفد الى الفريق الثاني وهو الشريف حمود والشريف منصور فطلب منهم الوقوف عند حدود مقاطعاتهم ، والسفر مع عرار بن شار الى الدرعية دون تأخر ، فحاولوا التفلت ولكنهم لم يستطيعوا ، وبعد محادثات تقرر ان يبعث الشريف حمود ولده احمد نائبا عنه ومعه السيد حسن بن خالد ، متعللا بمشاغلة أهل الجهات اليمانية وردع أيادي أمراء إمام صنعاء من التعدي على حدود بلاده . وعاد الوفد الى نجد برفقة الشريف منصور امير صبيا وعرار بن شار والشريف احمد ابن حمود وحسن بن خالد ، ومعهم الهدايا العظيمة .

اما الشريف حمود فقد اتجه الى وادي (مور) ، وجمع له من عربان تلك الجهات غزاة لاخضاع جهات الحديدة له وادخالها في طاعة الامام سعود من جهة ومن جهة اخرى كان يريد الظهور والسمعة عند الامام

سعود علّه يحظى بالاستقلال في مناطق تهامة ، ويبرر موقفه في الخلاف القائم بينه وبين عبد الوهاب .

وصلت الوفود الى الدرعية عبد الوهاب وصحبه ووفد اشراف تهامة فقابلهم الامام سعود بكل اكرام وحفاوة ثم نظر في قضية الخلاف فكانت حجج عبد الوهاب ضد اشراف تهامة قوية وكلها تظهر مخالفتهم للطاعة كما ابرز رسائل من بعضهم الى بعض تؤيد دعواه وتؤكد صدقه ، وبعد ما قدمه عبد الوهاب اقتنع الامام سعود بخطأ امراء تهامة ورغباتهم الخفية ولكنه في الوقت نفسه رأى ان الموقف يتطلب الصفح والعفو عن الجميع، ثم وضع شروطا قاسية على امراء تهامة عرار بن شار والشريف منصور وتوفد الشريف حمود .

حاول عبد الوهاب ابو نقطة ان يعود اميرا على مناطق تهامة كما كان سابقا فلم تحصل له الموافقة الا على امارة عسير وقبائل السراة ورجال ألمع وذلك حذرا ان يضغط عليهم بما يحمله لهم من الحقد والضغينة . انما الامام جعل لعبد الوهاب حق الامر عليهم بطلب الجنود اذا وقع غزو كبير في تلك الجهات . ومن ضمن الشروط على امراء تهامة ان يدفعوا جانبا من موارد جهاتهم الى الامام سعود وبخاصة من حاصلات الموانىء البحرية مثل (اللحية) وتلك الجهات ودفع جانب اخر الى الامير عبد الوهاب يستعين به في الذخائر والمعدات الحربية . ثم ان الامام عطف وانعم على عبد الوهاب والمندوبين بما يليق لهم من الكساء والعطايا من الخيل وغيرها .

عاد عبد الوهاب والاشراف ومن برفقتهم الى اوطانهم مكرمين — وباشر عبد الوهاب بارسال وفد من قبله مع الاشراف الى تهامة للوقوف على احوال تلك الجهات ولحصر مواردها — اما عرار بن شار فقد تقرر

بقاؤه في الدرعية ضيفا مكرما ثم أصابه مرض الجدري وعلى أثره توفي هناك • وكان عرار من دهاة الرجال جوادا يعطي المال ويحمي الذمار ، وقومه قبائل : درب بن شعبة المنتهي نسبهم الى بني تغلب [1] •

وفي سنة ١٢٢٠ اشتد الغلاء والقحط على الناس في جهات عسير وما يليها ومات اكثر المواشي كما حصل ذلك في بعض جهات نجد ، ومكة المكرمة بسبب الحروب الاهلية هناك وشدة الحصار بقطع الميرة والمسابلة بموجب نقض العهود من الشريف غالب الموقعة بينه وبين الامام سعود لانها سدت جميع الطرق البرية عن مكة حيث وان جميع الجهات المحيطة بمكة من جهة البر اصبحت تابعة للدعوة السعودية وتحت نفوذها وسطوتها • ومن شدة الحصار بمكة مات خلق كثير •

وفي هذه السنة أمر الامام سعود على عبد الوهاب ابو نقطة أن يجمع غزاة اليمن عموما وغزاة بيشة بقيادة اميرهم سالم بن شكبان ، والشريف منصور امير (صبيا) وقبائله وامراء جهات عسير ـ كما أمر ذلك على عثمان المضايفي أمير الطائف وغزاة أهل الحجاز مكة البادية وأن يكون وجهة مغزاهم جميعا مكة المكرمة •

بادر عبد الوهاب بالسفر ومعه جيوش عظيمة ولحق به الشريف منصور بوادي (الليث) حتى نزلوا جميعا على ماء السعدية فنزلوا

---

(١) وفي بعض الروايات انهم من اكلب بن خثعم قبيلة يمانية على أصح الاقوال . عن ابي محمد بن قتيبة ذكر ان ولد ربيعة بن اكلب منهم ناس دخلوا في خثعم كبني شعبه . ويقال اصل مساكنهم بلاد شهران او بيشة وان هناك محلا يسمى « شعبه » نسبوا اليه ، وموقع الدرب قبل نزولهم فيه يسمى « دار ملوّح » وهو مذكور في غزوة الامام المهدي احمد بن حسين الى الحجاز حتى انتهت غزوته الى قبيلة الصواقعه التابعة لرجال ألمع .

حول مكـة وضيقوا على أهلهـا كما صدر الامر عليهم بانتظـار الحاج الشامي ليمنعوه من دخول مكة ان كان محاربـا • فاشتد الامر وضاق الخناق على الشريف غالب وبلغ منه الجهد والضنك وكتب لعبد الوهاب بدخوله في طاعة الامام سعود كما دارت المخـابرة بينه وبين عبد الرحمن ابن ناص من علماء نجد المقيم في مخيم عثمان المضايفي وأكد في الكتـاب بطلب المصالحة على مواجهة الامام سعود ومبايعته على يمين الله ورسوله والسمـع والطاعـة فلما وصـل الكتـاب عبد الوهـاب ورأى ذلـك بـادر الـى وصـول عرفـات وعقـد المصالحة معـه وأمهلـوه الى انقضاء الحج هذه السنة ودخـل الامير عبد الوهاب وجنوده مكـة من الجهة اليمانية وعثمان المضايفي ومن معه مـن الجهة الشرقية وحجـوا واعتمروا بعد ان سلمهم الله شر القتال في البلاد المقـدسة • ثم ان الامير عبد الوهاب اجتمع بالشريف غالب وفاوضه على شروط معلومة ثم تهادوه وأجازه غالب بجوائز سنية ثمينة وأفرجوا عن الحجـاج الشاميين وكان رئيسهم يومئذ عبدالله باشا العظم •

وبعد دخـول مكة المكرمة صلحا من قبل الامير عبد الوهـاب ، انصرف ومن معه من الامراء والجنود الى اوطانهم مغتبطين بهذا الفـوز العظيم • على الرغم من ان اغلب جنودهـم قد اصيبوا بمرض الجدري ومنهم أمير بيشة وعلى أثره توفي حوالي بيشة • واستعمل الامام سعود ابن فهاد بن سالم أميرا على بيشة بعده •

اما الشريف منصور وقومه فعادوا الى وطنهم عن طريق تهامة بعدما أصابهم مرض الجدري وهلك منهم ومن قوم عبد الوهاب خلق كثير •

شرع الامير عبد الوهاب في عام ١٢٢١ هـ بعد عودتـه من مكـة المكرمة ظافرا في بث الدعوة السلفية في جهـات (جيزان) و (اللحية)

و (الحديدة) بوساطة امراء تلك الجهات ، وبدأت المراسلة بينه وبين أمير (الحديدة) الفقيه (صالح بن يحيى) يدعوه بالدخول فيما دخل فيه الشريف غالب ، وهو في طاعة الامام سعود ، ويحذره من شر العواقب ان لم يفعل ، وفي الوقت نفسه فقد وصل وفد الى امير الحديدة من قبل الشريف غالب عن طريق البحر ، وكان هذا الوفد يتألف من السيد العلامة زين الدين احد علماء المدينة المنورة ومن الشريف ابن محمد المكوراني وقد أكد هذا الوفد لامير الحديدة دخول الشريف غالب في طاعة الامام سعود عن طريق الامير عبد الوهاب ابو نقطة ، وقد كان هذا الدخول بعد حروب دامت اكثر من خمسة عشر عاما ، ويبدو ان هذا الوفد كان ينطق بما في نفس الشريف غالب الذي لم يكن يريد العمل الى الدعوة السلفية وانما يبدو انه كان يوضح ان دخوله كان مكرها ، كما انه بعد قبوله طاعة الامام سعود لا يريد ان يرى بعده اميرا مستقلا .

وقف امير الحديدة موقفا حائرا فسرايا الشريف حمود تزحف نحو امارته من جهات (باجل) ، وامام صنعاء يهدد حدوده الشرقية ، والامير عبد الوهاب يحذره ويتوعده بالهجوم على بلاده عن طريق (اللحية) وعن طريق البحر من جهة (الشقيق) .

رأى أمير الحديدة أن الشريف حمود قد عزم على تملك (الحديدة) مهما كلف الامر ، وان الامير عبد الوهاب ربما يرضى بشيء من المال واظهار الدخول في الدعوة السلفية . وربما يستفاد من عبد الوهاب في طلب الامدادات والنجدة ضد امام صنعاء . ولكن هذا الرأي كان فيه من التفاؤل اكثر من اللازم .

طلب الامير عبد الوهاب من امير (اللحية) دخول (الحديدة) ، وفي هذه الاثناء خرج أمير الحديدة (صالح بن يحيى) من بلده مع أهله

وذخائره ، واتجه الى (بيت الفقيه) ، وشرع في الاستيلاء على (زبيد) [1] وتلك الجهات قبل ان يسبقه اليها امام صنعاء • ولكن امير (المخا) من امراء امام صنعاء قد أرسل عبيده وبعض عساكره الى (الحديدة) فدخلوها ، وقبضوا على أولاد الفقيه (صالح بن يحيى) وحجزوا بيوته ، وهو مشغول في (بيت الفقيه) وجنوده في (زبيد) تدافع هجمات عسكر امام صنعاء ، فلما اشتدت عليه الحال كتب الى عبد الوهاب يطلب منه النجدة ، وكان عبد الوهاب آنذاك في غزوة في (نجران) فلم يتمكن من ارسال النجدة مما جعله يعتذر له الا انه ارسل أمرا الى امير (اللحية) بمساعدة الفقيه (صالح بن يحيى) فأرسل له ثلاثمائة نفر من جند عسير المرابطين عنده ، كما أمر عبد الوهاب سرايا الشريف حمود الموجودة هناك بالزحف لمحاربة عساكر امام صنعاء في الجهات الشرقية من (الحديدة) •

وبعد غارات ومعارك دامية في تلك الجهات انتصرت الجند العسيرية وسرايا الشريف حمود وكتائب الفقيه (صالح) وهزمت عساكر امام صنعاء . وفرت الى قواعدها مخلفة وراءها أسلحتها وذخائرها وأمتعتها جميعها ، وبعث الفقيه (صالح) خمس الغنائم الى الدرعية مباشرة ، وكذلك فعل الشريف حمود اذ أرسلها برفقة أحد الاعيان المدعو علي عقيل الحازمي •

تقدمت في هذه الاثناء جنود الشريف حمود الى الحديدة فدخلتها ، وعين أميرا عليها (يحيى بن حيدر) ، وبقي الشريف حمود يفكر بالاستيلاء على (بيت الفقيه) و (زبيد) ، في الوقت نفسه يفكر في الاستعداد لصد

---

(١) زبيد : بلدة مشهورة ، وهي عاصمة مقاطعات تهامة اليمن ، ويحيط بها سور منيع .

هجمات امام صنعاء المتوقعة مما جعله يضع جنداً في نقاط معينة على الحدود .

وفي هذه السنة غزا الامير عبد الوهاب قبائل (يام) و (نجران) ، وكان يظن انه يستطيع السيطرة على تلك الجهات بسهولة ولكنه لقي مقاومة عنيفة ، وبعد معارك دامية دخل (نجران) عنوة ، وبقي شهرين في ساحتها ، وشرع في اقامة قصر وقلعة عظيمة حربية أجرى في داخلها الماء ، وجمع فيها من قومه مرابطين جعل عليهم الشيخ (يحيى بن شايع) أحد كبار قومه ، ووضع في القلعة من المؤن والذخائر ما يكفي الجند ستة أشهر ، ثم انصرف من نجران مع من معه ، فلما وصل الى نهاية حدود القبائل اليامية تبعه رجال البادية وقاتلوه ولكنه انتصر عليهم .

بقي الفقيه (صالح بن يحيى) يقاتل جنود إمام صنعاء ، ويدافع عن المراكز التي ترابط فيها جنود عسير والشريف حمود ، حيث يعمل الجميع لنشر الدعوة السلفية . ولكن الشريف حمود بعد استيلائه على (الحديدة) ونواحيها دخله العجب بنفسه ، وعاد فصادق امام صنعاء خوفا منه لقربه منه ، وفي الوقت نفسه يخشى الامير عبد الوهاب ويترقب له الفرص التي تضعف أمره . وكان الشريف حمود يبدي أحيانا عداءه للجند العسيرية التي تقاتل مع الفقيه (صالح) كما أن استيلاءه على (الحديدة) كان يعارض سياسة ونفوذ عبد الوهاب .

وصل الى الشريف حمود وفد من عبد الوهاب يحمل رسالة وهدايا؛ وكانت مهمة الوفد التنديد بعمل الشريف من استيلائه على الحديدة ومحاولة استمالة بعض القبائل اليه مباشرة ، ويأمره في الوقت نفسه بمساعدة الجنود العسيرية المرابطة في قلعة (الدريهي) والمحافظة على الحدود من تقدم جنود امام صنعاء .

وفي ليلة الجمعة الموافق ١٢ شوال ١٢٢١ هجرية عزم الامام سعود على الحج للمرة الثالثة وبعث الى امراء اليمن عبد الوهاب ابو نقطة ومن يتبعه والى امير بيشة (فهاد بن شكبان) والى امير الطايف (عثمان المضايفي) بعث اليهم ان يتوجهوا مع غزاتهم الى مكة المكرمة ، كما بعث الى غزاة نجد ان يتوجهوا الى المدينة المنورة ، وأرسل خادمه (فراج بن شرعان العتيبي) ورجالا معه الى المدينة المنورة ايضا ليمنعوا الحجاج القادمين من ديار الشام ومن جهة تركيا حيث يحذر الشريف غالب من أن يقوم ببعض الامور مستغلا وجود الحجاج في مكة المكرمة ، وفعلا منع قدوم (عبد الله باشا العظم) ومن معه من الجنود ، وبعد تنفيذ أوامر الامام سعود في جهات المدينة المنورة ارتحل جند نجد جميعا منها واتجهوا الى مكة المكرمة حيث أدوا العمرة والحج، وأخرجوا من في مكة من السكان الاتراك • وقد وزع الامام سعود مبالغ عظيمة وكسا الكعبة كسوة فاخرة • وبعد أن انتهى الامام سعود من مناسك الحج سافر بجميع جنده الى المدينة المنورة لاصلاح شؤون ادارة تلك الجهات ، وجعل في الموانيء التابعة للمدينة جنودا مرابطين فيها ، وأجلى عنها (عنبر باشا الحرم) وكل من يحاذر منه ؛ وكان الامام سعود قد عين على المدينة عندما دخلها (احمد بن سالم) من أهل (العيينة) ثم استبدله بالامير (سعود بن ابراهيم بن عبد الله بن فرحان) ؛ وعندما أجلي السعوديون عن المدينة رجع أميرها بمن معه الى نجد ، وأسند اليه حماية الدرعية من جهتها الغربية فقاوم قوات الاتراك بكل شدة ، وكانت جهته آخر جهة سقطت من المدينة ، وكان هو ممن قتل من الامراء السعوديين• وبعد اجراء الترتيبات سافر سعود الى نجد وسمح لغزاة اليمن وغيرهم بالعودة الى أوطانهم •

وصل الى الامام سعود قبل سفره من المدينة وفد من الفقيه (صالح

ابن يحيى) يطلب منه مددا لمحاربة امام صنعاء. ويشتكي من الشريف حمود ابو مسمار الذي استولى على (الحديدة) وما يليهـا ، وهي في طاعتـه وتحت نفوذ الامير عبد الوهاب ابو نقطة ، وقد كان عبد الوهاب حاضرا اجتماع الوفد مع الامام سعود فأيد كلام الوفد ، وذكر للامام سعود أن الشريف حمود يتظاهر بالطاعة ويعمل في الواقع للاستقلال . ومن دواعي السياسة تقوية الامير صالح ومده ماديا ومعنويا •

تأكد الامام سعود من حقيقة الشريف حمـود لذا أمر عبد الوهاب ان يبعث ابن عمه (طامي بن شعيب) في جماعة من رجال عسير الاشداء ليكونوا عونا للفقيه صالح في محاربة أعدائه ، واستعادة الحديدة له من الشريف حمود •

علـم الشريف حمود بشكوى الفقيـه صالح فكان رده أن فرض سيطرته على القبائل التابعة للفقيه صالح ، كما استولى على زبيد ، وبايعه أعيانها ، وهي مركز ديني معروف ، وتدرس فيها علوم الفقه على مذهب الامام الشافعي ، ولم يبق للفقيـه صالح سوى (بيت الفقيه) قاعـدة المنطقة •

سارع الامير عبد الوهاب بارسال طامي بن شعيب مع قوة من قومه؛ فلما وصل الى قرب (بيت الفقيه) استقبلـه الامير صالح وتفاهم معه • وكتب طامي بن شعيب الى الشريف حمود رسالة يطلب منه أن يتخلى عن (زبيد) و (الحديدة) وأرسل الرسالـة مع وفد يتألف من (محمد بن أحمد العسيري) و (محمد بن ابراهيم الشعبي) فاستقبلهمـا الشريف حمود بكل احترام واكرام • وقد جاء في رسالة طامي بن شعيب ما يلي : (نخبركم يا شريف حمود أن وصولنا كان لحسم النزاع بينك وبين صالح الفقيه ومعتمدين على استرجـاع (الحديدة) و (زبيد) واعادتهـا الى

طاعة صالح ، وما وصلنا الا وقد استوليت على نواحي غيرهـا وهي من التابعة لنا وللامام سعود فيلزمك الامتثـال ولا يحسن منا قتالك الا اذا أخذتك العزة بالاثم والاغترار بما لم تؤمر به لا من الامام سعود ولا منا فيما حدث منك في الجهـات اليمانية) . فأجابـه الشريف حمود قـائلا (كلنا خدام لله ثم للامام سعود ولم نستول على هـاتين المدينتين الا لما كانت عزيمة الامير صالح ضعيفة جدا ولا عنده جنـود ولا شدة بأس ، ونخشى أن يتقوى امام صنعاء ويستخلصها من يد صالح؛ فرأينا الاستيلاء عليها وحفظها وهي تحت تدبير الله ثم تحت تدبير الامام سعود ومن يريد نوليه اياها فالامر والرأي له) .

رأى طامي بن شعيب أن يكون اتفاق بين الامير صالح والشريف حمود بحيث لا يتصرف أحدهما بشيء حتى يأتي الامر من الامام سعود . وقد حدث شيء من النفور بين طامي بن شعيب والامير صالح اذ طلب الثـاني من الاول بعض الامـوال ليؤمن بها اعاشة جنـد عسير المرابطين عنـده وخلافهم ، فرفض طامي بقوله : جئنا من عند الامير عبد الوهاب بأمر من الامام سعود لنكون عونا لك على أعدائك وجندا بين يديك تستعد بنا وتقوم لنا بكل ما نحتاجه ، ولكن هذا الطلب رغبة منك تقصد منها عودتنا الى أوطاننا ، ولم نكلفك الا بصرف القوت لجندنـا كما تصرفه لغيرنا ، وقرر طامي السفر الى السراة عن طريـق البحر ، وخرج من عند الامير صالح قائلا : كنا نظن الامير صالح احد رجلين ، اما رجل صاحب ديانـة فيصبر على البـلاء والعـزة حتى يتمكن من تحقيق غايتـه ، واما رجل طالب ملك يبذل للجنود المال الجزيل حتى تتوفر له غاياته للقتال وغيره ، وتأكد لدينـا انه لم يكن اي الرجلين ، اما الدين ففي معـزل عنه ، واما الملك فلم يقم بحقه من جميع النواحي المطلوبة . في حين ان الشريف حمود استمال الناس الى الدخول في طاعته باظهاره العدل ونشر الدين ، وبذله الاموال الجزيلة بدون تقتر ولا حساب .

علم الشريف حمود بما دار بين طامي وصالح من المحادثات فيما يجب تأمينه من النفقات فبعث الى طامي بكل مايلزم له في سفر عودته من النقود والاطعمة والكسوة على الرغم من أن طامي أرسل اليه الاوامر بنشر الدعوة الاسلامية والتقييد بأوامر عبد الوهاب ابو نقطة .

أمر طامي بن شعيب رجالا من عنده أن يهدموا القبة التي أقيمت على جامع مدينة (بيت الفقيه) وهذا ما أزعج الامير صالح ، كما ترك (طامي) بعض رجال عسير مرابطين في قرية (الدريهي) المشهورة والواقعة على حدود بلاد امام صنعاء ، وبعد هذه التنظيمات سافر طامي ومن معه .

خلا الجو للشريف حمود بعد سفر طامي بن شعيب فأخذ يجتهد في استمالة سكان مدينة (بيت الفقيه) وما حولها ، كما استمال رجال عسير المرابطين في قرية (الدريهي) وبذل لهم كل ما يتاجونه ، وقد استطاع أن يحصل على طاعة أهالي (بيت الفقيه) ، وزاد في ذلك مجيء موافقة الامام سعود على تصرفات الشريف حمود ، بينما جاءت رسالة الامام سعود الى الامير صالح على عكس ما يريد ، وتطلب منه ان كان دعوى شرعية ضد الشريف فعليه الحضور الى نجد لفصل النزاع بينهما .

رأى الامير صالح أن الدنيا لمن غلب ، والحجة لمن سطا وضرب ، وأن من الخير له مقابلة الشريف حمود فسافر الى (زبيد) لمواجهته فاستقبله وأنعم عليه ، وفي النهاية أخذ الشريف حمود من الامير صالح البيعة والمواثيق .

استمر الشريف حمود بارسال الغزاة الى (المخا) وما حولها ، وأقبلت اليه العشائر من كل ناحية تعلن الانقياد له . ثم التفت الى تحصين

مدينة (زبيد) [١] من كل جهة ، ثم ارتحل عائدا الى قرية (العبسية) في طريقه الى وادي (مور)حيث مركز جنده الرئيسي ، وهناك أقبل الناس عليه يهنئونه .

وفي سنة ١٢٢٢ هجرية وصل الى الشريف حمود نبأ نزول قبائل (يام) برئاسة (ابن عباس المكرمي) و (جابر بن مانع) رئيس قبيلة آل فاطمة الى مناطق تهامة اليمانية فبادر الشريف حمود بارسال ابن عمه الشريف (يحيى بن علي الحسني) على رأس قوة اصطدمت مع اليامبين فقتل الشريف يحيى وتفرقت القوتان حيث عادت كل فرقة الى معسكرها ، ثم عاد الياميون الى (الصليل) فتبعهم الشريف حمود وجنوده ، وجرت معركة بين الطرفين في الموقع المسمى (المصروفية) انتصر فيها الياميون وان كان قد قتل رئيسهم المكرمي .

وصل خبر الى الشريف حمود ان امام صنعاء قد أرسل قوة الى جهات (زبيد) برئاسة الفقيه (حسين بن احمد الفلقي) وزير العكفة [٢] . وهذا مما جعل الشريف حمود يفاوض الجنود اليامبين على ترك القتال ، وأرسل (علي بن عقيل الحازمي) على رأس قوة لمساعدة أخيه أمير (زبيد) في قتال جنود امام صنعاء ، ولكنه في هذه الاثناء حدث خلاف

---

(١) زبيد : مدينة مشهورة ، بني الشريف حمود السور عليها بعيدا عن السور الذي بني ايام الدولة القاسمية ، وليس عليه ، وقد حكى الخزرجي ان اول من اعتمد بناء السور على زبيد (حسين بن سلامة) مولى بني نجاح ثم أحاط عليه سور آخر الوزير ابو منصور ابن ابيه الفاتكي ، اما السور الثالث فقد جرى بناؤه في عهد بني مهدي ، وبناء السور الرابع كان في عهد ادارة سيف الاسلام طغتكين بن ايوب، وقد هدمت هذه الاسوار في زمن الدولة العثمانية عند ظهور الدولة القاسمية .

(٢) وزير العكفة : يقصد بها في اللهجة اليمانية رئيس حرس الامام .

في مدينة صنعاء بين امامها والقاضي (يحيى بن عبد الله العنسي) مما أضعف قوة امام صنعاء واختل نظامها فجرت المفاوضة بين الجيشين على هدنة سنة كاملة ، وعاد جيش امام صنعاء من ضواحي (زبيد) .

حج في هذه السنة كل من الشريف (علي بن حيدر) والشريف (منصور) أمير صبيا ، وهناك عرضوا على الامام سعود أحوال مقاطعة اليمن ، واعتذرا له عن تأخيرهما في دفع ما عليهما من مال مفروض على موارد مينائي (جيزان) و (اللحية) وفي الوقت نفسه رفعا شكوى ضد الشريف حمود حيث كانت الوحشة بينهم قد بلغت حداً كبيراً . وسمع الامام كلام الشريفين فحملهما رسالة الى الشريف حمود يأمره فيها بأن يدفع لهما المقرر من الموارد وألا يتعرض لهما في امارتهما فهما المسؤولان عما تحت أيديهما .

وصل الشريفان الى (ابو عريش) فتأثر الشريف حمود وازداد غيظاً وأصبح يحملهما سوء النية ويتعرض لهما في كل ما يؤذيهما . فلما استدار العام ، واقترب وقت الحج سافر الشريفان الى الامام سعود مرة ثانية وأخبراه بعدم امتثال الشريف لاوامره . خيّر الامام سعود الشريفين بين أن يرسل معهما جنداً من عسير السراة بوساطة عبد الوهاب ابو نقطة لتأديب الشريف حمود ، وبين ان يرسل جنداً آخرين ينهون الخلاف بين الاشراف ، فرأيا ألا يكون عبد الوهاب وقومه المؤدبين للشريف حمود لما يعلمان من حساسيات بين الاشراف وعبد الوهاب . ورأى الامام سعود أن يرسل معهما الامير (محمد بن دهمان) من تباله والامير (مشيط بن سالم) رئيس شهران وناهس وهما بطنان من (خثعم بن بجيلة) ومعهما ثلاثة آلاف من الجند يفصلون في الخلاف وينفذون أوامر الامام سعود ، فان امتثل قضي الامر والا قاتلوه ، فلما عرض الامر على الشريف حمود امتثل ووافق وكتب الاشراف جميعا الى الدرعية بصلاح الامر والاتفاق

بين الاطراف المتنازعة في تهامة اليمن .

تضايق الشريف حمود من كثرة الشكاوى ضده وخاف من الامـام سعود الذي يبدو ان موقفه لم يكن بجانبه كما كان يحذر عبد الوهاب الذي في نفسه شيء وهو سيف الدرعية في عسير ، لهذا كله بدا في مراسلة امام صنعاء سرا . وفي هذا الوقت خرجت قبائل (بالحرث) وأهل الجبال عن طاعة الشريف حمود وكان يومذاك في (الزهراء) يجمع الجند فأرسل الى المتمردين قوة بامرة الشريف حسن بن خالد فقهرهم وأخذ عددا كبيرا من الاسرى، ثم قتل خمسة وعشرين رجلا من كبارهم، وأرسلت رؤوسهم الى الشريف حمود بالزهراء .

جمع الامير عبد الوهاب ابو نقطـة عام ١٢٢٣ هـ جنـودا كثيرة ، وأظهر انه يريد امام صنعاء ، وحسب الشريف حمود انه المقصود بالغزو فأخذ يستعد للدفاع عن حماه ، ولكن عبد الوهاب غزا قبيلة (الرمث) وانتصر عليهم وعاد الى مقره في السراة .

استمرت المراسلة بين الامام سعود والشريف حمود فكان الامـام سعود يأمره بغزو امام صنعاء ، والشريف يتوانى ولا يمتثل ، فاستدعـاه الى الدرعية فلم يوافق ، فطلب منه السفر الى مكـة فبالغ في الاعتذار ، وهذا ما زاد الوحشة وسوء النيـة . وأرسل الشريف حمود مندوبا عنه الى الامام سعود وهو (محمد بن عز الدين النعمي) يفاوضه فلم يقبـل الامام ذلك وعاد المندوب برسالة الى الشريف حمود تنبئه ألا عذر له ولا مسامحة ما لم يصل هو بنفسه الى الدرعية ويتبرأ من استمرار المراسلة مع امام صنعاء. عاد الشريف حمود فأرسل ابن أخيه الشريف (يحيي بن حيدر الحسني) مندوبا عنه الى الدرعية وفوضه بقبول كل ما يأمر به الامـام سعود سوى الموافقة على سفره الى مكة المكرمة او الى نجد لمواجهته .

وبعد مقابلة المندوب للامام بعد انتهائه من مناسك حجة السنة السادسة وسماعه كلاما قاسيا . أشار عليه الشريف غالب أمير مكة بضرورة العودة الى بلاده ، فلما وصل الى (ابو عريش) أفهم عمه بما يوجب التخوف وأن لا عذر له اذا لم يواجه الامام والا فانه سيرسل من يستولي على بلاده •

أخذ الشريف حمود يعمل في الاستعداد للدفاع عن منطقته وتأمين الاتفاق مع امام صنعاء لمعاداة الامام سعود ، فلما تم له أعلن عدم الانقياد للامام سعود •

. أصدر الامام سعود أوامره الى أمراء المقاطعات اليمانية والحجازية ومن يليهم من القبائل بالسير لمحاربة الشريف حمود وقبائل تهامة ومن التف حوله من القبائل التابعة لامام صنعاء من (حاشد) و(بكيل) و (محمدي) و (حسيني) و (همدان) وكذلك (يام) و (سنحان) وخلافهم • كما أرسل قوة من فرسان نجد اختارهم من نائبين هما (غصّاب العتيبي) و (محمد بن مقرن) وجعلهما مراقبين على أمراء النواحي والوديان وحذرهما من مخالفة الامير عبد الوهاب القائد العام •

سار الامير عبد الوهاب مع قوة من عسير السراة و (رجال آلمع) و (قحطان) وقبائل هؤلاء الامراء :

١ ــ فهّاد بن سالم بن شكبان وقبائل بيشة حضراً وبادية •
٢ ــ مشيط بن سالم وقبائل شهران حضراً وبادية •
٣ ــ ابن حرملة مع قبائل وادعه وعبيدة حضراً وبدواً •
٤ ــ ابن قرمله أمير قبائل قحطان نجد •
٥ ــ يحيى بن دهمان مع قبائل بني شهر حضراً وبدواً •
٦ ــ علي بن عبد الرحمن المضائفي مع قبائل الحجاز في الطائف •

واجتمع مع عبد الوهاب أكثر من خمسين الف مقاتل نزلوا الى تهامة عن طريق عقبة (مناظر) حتى خيّموا قرب وادي (بيش) بينهم وبين مخيم الشريف حمود ما يقرب من ميل • وفي يوم الاحد الموافق ١٨ من جمادى الآخرة عام ١٢٢٤ هـ حصلت مناوشات بين خيل الفريقين • وفي اليوم التالي فاجأت جنود الشريف حمود جند عبدالوهاب قبل استعدادها فجرت معركة عنيفة قتل فيها الامير عبد الوهاب وعدد من كبار رجاله ، ثم كرت القوات العسيرية على جند الشريف حمود فهزمتهم ، واستولت على معسكرهم ، وهرب الشريف حمود نفسه الى حصنه في (ابو عريش) وحاصروا (صبيا) فطلب أهلها الامان ، وسلّم الشريف منصور نفسه ، وجعل العسيريون قوة منهم ترابط في قلعة (صبيا) • ولم يشعر أحد بمقتل الامير عبد الوهاب الا بعد انتهاء المعركة حيث عثروا على جثته في ساحة قتال الخيالة ، فدفنوه ، واجتمع رؤساء الجند عند نائبي الامام سعود (غصّاب العتيبي) و (محمد بن مقرن) ، فأجمع رأيهم على ابن عمه (طامي بن شعيب) ليكون أميرا حتى تأتي موافقة الامام سعود • وكان الامير عبد الوهاب متواضعا حليما ورعا ذا حكمة ، وفي سياسته جامعا بين المرونة والمضاء أضف الى ذلك ذكاء لم يكن عاديا ، كما كان مولعا بالعلم محبا للعلماء وللطلاب ، يعقد مجلس الغزاة والتدريس في قصره وتحت اشرافه عندما يكون مستقرا في عاصمة بلدته (طبب) • وعرف بالشجاعة والبسالة والاقدام وعلو الهمة والمرام وفي غزواته كلها الشاهد على ذلك •

امارة طامي بن شعيب :

رفع رؤساء العشائر في رجب عام ١٢٢٤ هـ انتخابهم طامي بن شعيب أميرا عليهم الى الامام سعود فأعلن موافقته • وكتب رسائل الى أعيان ووجهاء عسير يشكر جهدهم في الغزو ونشر الدعوة السلفية •

أخذ طـامي بن شعيب في تحسين الادارة وفي الوقـت نفسه كان حريصا على الانتقـام من الشريف حمود لخروجه عن الطاعة ؛ لذا طلب نجدة من الامام سعود فأرسل له أمير قحطان نجد (حشر العاصمي) مع قومه وأمرهم بالغزو مع طامي في الجهة التي يريدها ٠

وصل حشر الى عسير واتفق مع طامي على تأديب الشريف حمـود وأن يغزو حشر (ابو عريش) من جهة الجنوب من حرض وأن يغزو طامي عن طريق جيزان فسار كل الى جهته ؛ وأخـذ العسيريون سفنا بحريـة استولوا عليها ، وبعد حصار (ابو عريش) شهرين حصلت رسائل بينهم وبين الشريف حمود اتفقوا على أن يقابل الشريف حمود الامـام سعود بالذات ، ومما حمل العسيريين على العودة ما حلّ بهم من أمراض ؛ وقد غادروا تهامة بعد أن تركوا في قلعة صبيا (محمد بن أحمد المتحمي) مع مائة وخمسين رجلا من عسير يرابطون فيها ٠

نقض الشريف حمود العهد بعد مغادرة خصومه أرضه وعاد يتصل مع امام صنعاء الذي أرسل اليه قوة من قبـائل (بكيل) و (همدان) و (حاشد) و (يام) ٠

جمع الشريف حمود قوة من جنده ومن الجموع التي وصلت اليه من امام صنعاء ، وأرسلهم في أواخـر شهر ذي الحجـة عـام ١٢٢٤ هـ للاستيـلاء على (صبيا) و (جيزان) ومخلاف (بيش) ؛ فالتقـوا مع (محمد المتحمي) الذي تراجع وتحصن في (صبيا) بعد معركة داميـة ؛ وتابع جنود الشريف بقيادة الشريف منصور بن حيـدر جند المتحمـي فأحاطوا بـ (صبيا) وقتلـوا من أهلها الكثير بعد دخولهـا ؛ اذ قتلوا ما اجتمع منهم في المسجد الجامع ، كما ألقوا القبض على الذين تجمعـوا في دار (حسين عسمينة) ويزيد عددهم على المائة نفر ؛ أرسلوا أسارى الى

(ابو عريش) فأمر الشريف حمود هنـاك بضرب أعناقهـم لان (حسين عسمنية) كان من المقربين لدى أمراء آل سعود • وبقيت قلعة (صبيا) محاصرة •

علم الامير طامي بن شعيب بما تم فنهض مسرعـا مع ألف رجل من عسير وزادت قوته اثناء سيره ، وعندما وصل الخبر الى أشراف تهـامة هربوا ملتجئين الى (ابو عريش) ، ووصل طامي بن شعيب الى (صبيا) ففك الحصار عن قلعتها وعن جيزان وأجرى بعض الترتيبات ، وعاد الى السراة اذ لم يتوجه نحو (ابو عريش) لانه لم يأخذ موافقة الامام سعود ولكنه أعلمه بنقض الشريف حمود للعهود والمواثيـق واتصالاته مع إمام صنعاء •

زاد موقف الشريف حمود حرجا بمعاداته للامراء التابعين لآل سعود وطلب المساعدة من امام صنعاء الذي أمـده بجنود من القبائل أبقـاهم مرابطين على حدود (ابو عريش) الشمالية خوفا من غـارات العسيريين عليها • وفي ربيع الثاني من عام ١٢٢٥ هـ أصدر الامام سعـود أمره الى طامي بن شعيب بجمع جند عسير والتوجه بهم الى ميناء (الشقيق) ، كما أمر (عثمان بن عبد الرحمن المضائفي) أمير الطـائف بأن يسير بأهـل الحجاز الى (الشقيق) •

التقى الامير طامي بالامير عثمان المضائفي بـ (الشقيق) وهناك قررا السير الى أقصى حدود تهامة اليمن عن طريق ساحـل البحر الاحمر ثم يأتيا (ابو عريش) من جهتها الخلفية • سارا بجنودهما حتى وصلوا الى وادي (مور) ثم انطلقوا حتى نزلوا على ماء يسمى (العيسية) قريبا من ميناء (اللحية) ، وهناك وجدوا جماعة من أتباع الشريف حمود يعملـون في بناء حصن حربي فقتلوهم جميعا حتى لا يصل خبر جيشهم الى الشريف حمود •

علم الشريف حمود بالخبر فنادى بين القبائل التابعة لها بالتأهب وخرج مسرعا حتى نزل في محل يسمى (بربر) قريبا من معسكر الجنود الحجازية والعسيرية الذين كانوا قد ألقوا القبض على رجلين من رجال الشريف حمود فبعثوهما اليه لاخباره بأن هذه الجنود ما وصلت الى هذه الجهات البعيدة الا وهي عازمة على اهلاك الشريف نفسه وتؤمن جنوده ، وعندما بلغت المقالة الشريف حمود أجاب :

نحن بني الحروب فما لنا نعافها هيهات من أن تعاف
نحن الذين ما عرف خيلنا يوم الوغى الا طعان المصاف

التقى الجيشان في اليوم الثاني في الموقع المسمى (الوحلة) ، واقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انهزمت خيل الشريف حمود ، وأحيط به مع بعض أقاربه وعشيرته الا أنه هرب ليلا ووصل الى مدينة (ابو عريش) وبعد يومين لحقت به فلول قومه المهزومة بعد أن تركت في ساحة المعركة الشريف (منصور بن محمد الحسني) و (سعود بن عمر بن عثمان) كما قتل من رجال عسير الفقيه (يحيى بن شايع العسكري) أحد صناديد رجال عسير •

تحصن الشريف حمود في (ابو عريش) ، وعاد (عثمان المضايفي) مع جنوده الى الحجاز ، وسار (طامي بن شعيب) في أواخر شعبان ١٢٢٥ هـ الى ميناء (اللحية) فحاصرها واستولى عليها ، ونهبت المدينة وهدمت ، وقتل من أهلها ما يزيد على الالف رجل • ثم سار طامي الى (جيزان) و (صبيا) فجعل فيهما جنودا مرابطين ثم عاد الى السراة تاركا الشريف حمود في عاصمته (ابو عريش) • وبعد انتهاء القتال وصل أمير بيشة (ابن شكبان) الى المنطقة فناوش الشريف حمود في حصنه ووصل الى وادي (ضمد) وأخيرا عاد من حيث أتى •

وفي أواخر عام ١٢٢٥ هـ شعر طامي بن شعيب أن بقاء مقاطعة تهامة على هذه الحالة يشكل خطرا كبيرا لذا نزل الى تهامة بجنود من عسير وتهامة وقحطان وبيشة وبني شهر زاد عددهم على عشرين ألفا ، وتوجه بهم الى ميناء الحديدة فاستولى عليها . وأرسل خمس الغنائم الى الدرعية . ثم عاد الى السراة بعد أن ترك الشريف حمود منقطعا عن الاتصال بالخارج اذ ان الموانيء أصبحت كلها بيد طامي بن شعيب وكذا القبائل التهامية .

وفي عام ١٢٢٦ هـ بعث الامير طامي بن شعيب الشيخ العلامة عبد القادر بن احمد الحفظي الى بادية عسير وقبائلها يعظهم ويفقههم في الدين .

اتفق الشريف حمود بعد أن شعر بسوء وضعه مع العلامة السيد محمد بن علي أمير (صعدة) وتوابعها من قبائل (همدان) و (بني جماعة) و (سحار) وخلافهم على أن يتوسط الثاني في اصلاح ذات البين بين الشريف حمود والامير طامي ومن جهة أخرى أن يسعى لدى الامام سعود ليعفو عن الشريف حمود . وبالفعل تمت وساطة أمير (صعدة) الذي ينتهي نسبه الى الامام القاسم امام صنعاء على أن يدفع الشريف حمود جزءا من المال محددا في كل عام .

رأت الدولة العثمانية أن تنهي حكم آل سعود الذين توسعت دولتهم حتى خشيتهم ، وفي الوقت نفسه أرادت أن تتخلص من وجود محمد علي الذي استبد في ولاية مصر ، لذا رأت ان تضرب احد القوتين بالاخرى . فحسنت الدولة العثمانية لمحمد علي الاستيلاء على الحجاز وعسير ونجد .

أرسل محمد علي باشا ابنه (طوسون) على رأس قوة مؤلفة من

ثمانية آلاف جندي أرسلوا برا وبحرا الى (ينبع) فقد وصل ستة آلاف بحرا ، وألفان من الاتراك والعـرب وكانوا بقيـادة (طوسون) ، ومن (ينبع) زحفت الجنود بمعداتها ومدافعها وذخائرها الى المدينة المنورة .

علم الامام سعود بخبر الحملة المصرية فأصدر امره الى امراء نجـد والحجاز وعسير للتوجه مع جموعهم الى المدينة المنـورة للانضمام الـى القائد العام « عبدالله بن سعود » ابن الامام سعود وولي عهده في (وادي الصفراء) قرب المدينة ، وفي شهر ذي العقدة ١٢٢٦ هـ بدأ القتـال وبعد ثلاثة ايام انهزم المصريـون مخلفين وراءهم المعـدات الحربية والمدافـع والذخائر والارزاق والخيام وخمسة آلاف قتيل ، على قتل من السعوديين ستمائة رجل منهم (هادي بن قرملة) رئيس قبيلة عبيدة و (مانع بن كرم).

رجع (طوسون) الى (ينبـع) ينتظر النجدات من مصر ، وعـاد (عبدالله بن سعود) الى نجد . ولكن امر الامام سعود بارسال النجدات المتتابعة الى المدينة المنورة كما عمل على تحصينها .

وصلت النجدات المصرية في عام ١٢٢٧ هـ بقيادة (احمد ثابرت) ، واعاد (طوسون) الكرة على المدينة ، وقد انضم اليه كثير مـن عربـان قبيلتي (جهينة) و (حرب) ، فحاصر المدينة مدة ٧٥ يوما ، وكان فيهـا ما يقرب من سبعة آلاف مقاتل من نجد والحجاز وعسير ، وقطع الميـاه عنها ، كما انتشرت الاوبئة والامراض السارية بين المدافعين فهلك منهم ما يقرب من اربعة آلاف وانسحب الباقون باتجاه مكـة المكرمة ، فدخـل المصريون المدينة ، وسافر الامام سعود من مكة الى الدرعية ، وابقى ابنه (عبدالله) والغزاة جميعهم في وادي فاطمة ، وبعد عدة ايام زحف المصريون نحو مكة ، وحدث خلاف بين (عبدالله بن سعود) و (الشريف غالب) فرحل عبدالله مـن وادي فاطمة الى (الريعـان) قرب (عشيرة) ، وامر (عثمان المضايفي) أن يستعد في بلدة الطائف ويحافظ عليها .

وفي عـام ١٢٢٨ هـ انضم الشريف غالب الى الجنـود المصرية وقد اصبحوا على مقربة من مكة المكرمة ، ووقعت خلافات كثيرة بين عربـان نجد وكذلك في عسير بين اشراف (ابو عريش) وامراء (صبيا) ، وحروب بين امام صنعاء والشريف حمود .

دخل المصريون مكة المكرمة دون قتال ، وانحاز (عبدالله بن سعود) و (عثمان المضايفي) الى وادي (الخرمة) وبعث (طوسون) احد قواده وهو (مصطفى باشا) ومعه الشريف (غالب) و (راجح) فاستولوا على الطائف ، واستمالوا قبائل (بنو مالك) و (غامد) و (زهران) ، وقتـل (عثمان المضايفي) الذي قبض عليه اناس من (العصمة) من قبيلة (عتيبة) واخذوه الى الشريف غالب فقتله . ووصل المصريون الى وادي (الخرمة) وحاصروا بعض القرى ، ولكن وصول النجدات الى القوات السعوديـة غيّر ميزان القوى فانهزم المصريون وبدأت قبائل الحجاز تظهر العداء لهم .

بلغ محمد علي حاكم مصر خبر فشل ابنه طوسون فجاء بنفسه على رأس حملة عظيمة ودخل مكة فاستدعى الشريف واولاده فقبض عليهم ، وارسلهم الى مصر ، واستولى على ما في خزائن الشريف ، ونصب مكانه ابن اخيه الشريف (يحيى بن سرور) . وفي هذه الاثناء توفي الامام سعود ، وبديع ابن عبدالله اماما .

قسم محمد علي جيوشه الى قسمين : سار الاول باتجاه الطائـف ، واتجه الثاني الى (القنفذة) لتأديب القبائل العسيرية المؤيدة لآل سعود ، ولكنه هزم هزيمة نكراء على يد امير عسير طامي بن شعيب وخلف وراءه مدافعه وكل معداته .

وفي تهامة اليمن ارسل امام صنعاء قوة كبيرة بقيادة (احمد بن علي بن العباس) لقتال جنود الشريف حمود ابو مسمار الـذي استولى على

قسم كبير من تهامة اليمن . وجرت معارك بين الطرفين قرب (زبيد) و (الحديدة) انتهت بوقوع خسائر كبيرة من الجانبين . وفي الوقت نفسه وقع خلاف بين اشراف (ابو عريش) اذ نقموا على الشريف حمود الذي يعد كبيرهم فسافروا الى مكة لمواجهة الامام عبدالله فوجدوا المصريين قد استولوا عليها فطلبوا من حاكمها (حسن باشا) مناصرتهم ضد الشريف حمود فوعدهم خيرا بانتظار عودة القوات التي تقاتل السعوديين بأطراف نجد .

وبعث محمد علي في عام ١٢٣٠ هـ حملة بقيادة ابنه طوسون الى جهات (تربة) فهزمت ، وارسل حملة ثانية الى جهات المدينة المنورة بقيادة (مصطفى بك) فهزمتها (غالية) امرأة احد مشايخ قبيلة سبيع . وقاد بنفسه حملة ثالثة مؤلفة من ألفي جندي والفي بدوي وخمسمائة خيال ؛ واتجه بها الى (بسل) بين الطائف وتربة فالتقى هناك بجيش عظيم يقوده (فيصل بن سعود) و (طامي بن شعيب) ويزيد عدده على اربعين الفا ؛ فانتصر عليه ، وانسحب فيصل بن سعود الى (تربة) فلاحقته الجيوش المصرية واحتلتها بعد دفاع ومعارك جانبية . وبعث محمد علي حملة رابعة الى (القنفذة) وقد وصل خبرها الى طامي بن شعيب بعد انسحابه من (بسل) امام محمد علي فاسرع لملاقاة هذه الحملة عن طريق بلاد غامد وزهران وقد تجمع لديه ثمانية آلاف مقاتل فانتصر على تلك الحملة وهزمها شر هزيمة واخذ كل معداتها واستعاد بلدة القنفذة التي كان المصريون قد احتلوها واخرجوا العسيريين المرابطين فيها .

رأى محمد علي ان يستريح بعض الوقت بعد معركة (بسل) وزحفه الى (تربة) ويجمع زيادة من الجيوش لغزو نجد الا ان الاخبار قد وصلت اليه بانتصار العسيريين على جنوده في القنفذة لذا عدل رأيه في غزو نجد . واستأنف الزحف من (تربة) الى وادي (رنيه) .

اجتمع لدى الامير فيصل بن سعود عدد كبير من المقاتلين من مختلف الجهات ومنها عسير حيث وافاه (طامي بن شعيب) مع غزاته . ونزل الجميع في الموقع المسمى (غزيل) ؛ وهناك التقى الجيشان فانتصر محمد علي باشا ، وسافر قادة الجيش السعودي كل الى بلده .

زحف محمد علي من (رنية) الى اسفل اودية قبيلة زهران فاستولى عليها بالقوة ، ثم اتجه الى (بيشة) فاعترضه (ابن شكبان) بجموع من القبائل ؛ وبعد دفاع مستميت هزم (ابن شكبان) ، وعرج محمد علي الى (تبالة) فحاصر قراها على الرغم من دفاع (ابن شعلان) ومن معه من غزاة (شمران) و (بلقرن) ومن التف حولهم ، وانتهى القتال بسقوط (ابن شعلان) في المعركة وعدد من رجاله. وسار محمد علي من (تبالة) الى (بيشة) فدخلها ، وتعد (تبالة) و (بيشة) مفتاح اليمن من الجهات الجنوبية الشرقية .

اخذ محمد علي قسطا من الراحة في (بيشة) ثم استأنف زحفه الى وادي (شهران) والمعروف الآن باسم وادي (ابن هشبل) ؛ وكل قبيلة يتصل فيها يأخذ منها العهد والمواثيق على السمع والطاعة مثل (مشيط) و (قبيل) و (رزحان) و (محمد بن واكد) وكلهم من رؤساء شهران ؛ وعلى الرغم من هذا التقدم الذي تسير فيه جنود محمد علي الا ان المشاق والصعاب هي التي كانت موجودة في كل مرحلة يقطعونها فالتموين سيء وكانت البلاد التي سيطروا عليها في حالة جدب وقحط اضافة الى قلةالخيل والركائب .

وصل محمد علي الى حدود (عسير) فقابله طامي بن شعيب بفلول جيوشه وما جمعه من رجال القبائل ، وحصلت بين الطرفين معارك عديدة في حدود بلاد (بنو مالك) وكانت الغلبة لمحمد علي وجنده ؛ واصر طامي

ابن شعيب على الدفاع عن بلاده فقسم جيشه الى ثلاثة اقسام ، جعل القسم الاول منها في قرية (الطلحة) بقيادة ابن عمه (عـوان) ، ووضع القسم الثاني وهو حوالي خمسمائة رجل في حصون (طبب) بقيادة ابن عمـه الثاني (محمد بن احمد المتحمي) ؛ وتولى هو قيادة القسم الثالث وركزه في رؤوس الجبال ؛ وهو للدفاع عن المنطقة .

تقدم محمد علي حيث لا مجال له الا التقدم فاكتسح قرية (الطلحة) بعد مقاومة عنيفة ، ثم اتجه نحو بلدة (طبب) وحاصرها من جهاتها الثلاث، وضاق الامر على (محمد بن احمد المتحمي) مما اضطره الى طلب الامان على ان تسلم الحصون من الهدم ، وتبقى لهم موجوداتها مـن الاسلحة والذخائر والارزاق فوافق محمد علي باشا على ذلك ، وبعد ان خرج اهل عسير من الحصون امر محمد علي بهدمها ناقضا عهده ، كما امر هدم جميع القلاع التي في رؤوس الجبال ، اما (طامي بن شعيب) امير عسير فقد بقي في جبل (تهلل) ومعه جماعات من قومـه يناوشون الاعداء ، الا انهـم هزموا ، فانحازوا الى قبيلة (بني مغيد) فساعدتهم الا ان محمد علي قد تغلب عليهم فتفرقوا ، ونزل (طامي بن شعيب) من السراة الى تهامة فذهب الى قرية (مسلية) حتى يختفي هناك وحتى تتهيأ له الفرصة للانقضاض على خصمه ، وفي هذه القرية حصن وبعض العبيد التابعين له ؛ كما يملك فيهـا ارضا زراعية . ولكن اقامته لم تطل هناك اذ اتجه الـى (صبيا) بعـد مخابرات جرت بينه وبين الشريف (حسن بن خالد) بواسطـة العلامـة السيد (يحيى بن محمد النعمي) في قرية (الدهناء) ، وظن طامـي نفسه آمنا ، ولكنه لم يصل الى (صبيا) حتى سجنه ، وارسل الى محمـد علي باشا يخبره بالامر ؛ وكان محمد علي قد ارسل رهطا من فرسانه يبحثون عن طامي .

أمر محمد علي بارسال (طامي بن شعيب) الى ميناء (القنفـذة)

تحت المراقبة الشديدة ، فتسلمه رجال محمد علي هناك وسافروا بــه الى مصر ، ومنها الى استانبول حيث صدر عليه حكم الاعدام ، فنفذ بــه . وصلب بعد ان شهر به في الاسواق •

كان طامي بن شعيب رحمه الله فاضلا كريما شجاعا صاحــب رأي سديد : يستشير الوجهاء والعلماء ويأخذ برأي الاكثرية •

عين محمد علي باشا احد رجاله اميرا على عسير وجعل مركزه (طبب)، وسار هو الى (القنفذة) عن طريق عقبة (تيه) ، ثم اتجه الى مكة المكرمة ومنها الى المدينة المنورة ، ولم يمكث طويلا في المدينة حتى بلغه ان ثورة في القاهرة قد نشبت ، كما اخبر ان (نابليون بونابرت) قد فر من منفاه في جزيرة (البا) وعاد الى فرنسا ، لهذا آب مسرعا الى مصر •

امارة محمد بن احمد المتحمي :

انطوت ايام طامي بن شعيب ، وقام مقامه عام ١٢٣١ هـ (محمد بن احمد الرفيدي) والمكنى بالمتحمي ، وهو من اقاربه ؛ واجتمع تحت طاعته عسير وقبائل رجال (ألمع) رغبة ورهبة حيث كان سفاكا للدماء ويلبس دائما رداء القسوة • وفي ايامه وقع الناس في حيرة اذ ظهرت الفتن بين القبــائل حيث اشتغل الامام عبدالله بن سعود بالدفاع عن نجد ضد (ابراهيم باشا) قائد القوات المصرية والتركية ؛ كما ان قبائل عسير اخذت تقوم بغزو بقية القوات المصرية اذ ان محمد علي عاد مسرعا دون ان يحتل المنطقة جميعها فبقيت مناطق لم يستول عليها المصريون ومنها بدأت الغارات ؛ ولــم تكن القوات المصرية كثيرة مما جعل اخراجها سهلا •

اخرج محمد بن احمد المتحمي الجنود المصرية التي خرج بعضهــا هاربا عن طريق سراة الحجاز وفر بعضها الآخر عن طريق (القنفذة) بحراً

وبعد ان خلت عسير من المحتلين اتفق المتحمي مع (علي بن مجثل) زعيم قبيلة (بني مغيد) آنذاك للتآزر وتأديب قبائل رجال (ألمع) وتهامة (محايل) و (القنفذة) ، وقابل اهالي (محايل) العسيريين بقتال شديد ولكنهم هزموا امامهم ، واستولى المتحمي على (محايل) ، واحرق بيوتها .

ثارت قبائل (تهامة) اليمن عام ١٢٣٢ هـ على امير (ابو عريش) الشريف حمود ابو مسمار ، وجرت بين الطرفين معارك عنيفة انتصر فيها الشريف حمود على اعدائه ، وأثناء عودته الى مقره جاءه خبر خروج شريف مكة بقوات كبيرة الى تهامة بناء على طلب الشريف (علي بن حيدر) والشريف (منصور) وهما من كبار اشراف منطقة (ابو عريش) ، وانتقل قسم من قوات شريف مكة بحرا الى (القنفذة) بقيادة (الوزير جمعة) ووصلوا الى (حلي بن يعقوب) ثم اسرعوا الى بلاد رجال (ألمع) متجهين الى (ابو عريش) ، ولما وصلوا الى موقع (الحمة) بين بلاد رجال (ألمع) ودرب بني شعبة التقوا بجيش الشريف حمود بقيادة الحسن ، فهزم جيش شريف مكة هزيمة نكراء ومن لاذ بالفرار وصل هاربا الى (القنفذة) .
أما الحملة الثانية لشريف مكة فجاءت برا ووصلت الى عسير بقيادة الوزير (حسن باشا) ، فاصطدمت بقوات المتحمي وعلي بن مجثل القليلة ، وهذا ما دعا زعماء عسير الى الاستنجاد بالشريف حمود لما رأوا من قلة في قواتهم وضعف في امكاناتهم ، فارسل الشريف حمود نجدة اليهم مؤلفة من سريتين كانت الاولى بقيادة الشريف (حسن بن خالد) والثانية بامرة (حسن بن عطيف الحكمي) ، وما كانت هذه النجدة الا تفسيرا لاطماع الشريف حمود بامتلاك عسير ، والتقت الجنود العسيرية والتهامية وهزموا رجال شريف مكة الذين فروا الى (محايل) ومنها الى (القنفذة) .

نزل الشريف (حسن بن خالد) و (حسن بن عطيف الحكمي) بعد انتصارهم مع العسيريين الى بلاد رجال (ألمع) ليضعوا خطة للسيطرة على

عسير (السراة) . ومن هنالك اتصلوا بزعماء عسير بعد ان اظهروا لهم العداء وطلبوا منهم شروطا قاسية للانسحاب من بلادهم . فحصل النزاع، وتقدمت جنود تهامة في ارض السراة . أبدى زعماء عسير التراجع حتى اذا تقدم التهاميون في بعض القرى ومضايق الطرق انهال عليهم العسيريون من كل جانب حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ؛ فطلب التهاميون المفاوضة وعرضوا الوساطة ، فتوقف القتال ولكن النفوس شحنت بزيادة العداوة والبغضاء . وحاول العسيريون سد منافذ الطرق امام التهاميين حتى لا يتركوا مواقعهم التي هم فيها .

طلب التهاميون النجدة من الشريف حمود فاسرع بجمع الجنود من (بكيل) و (نجران) وسار بهم الى درب بني شعبة وهناك علم جنوده ان طريقهم الى (السراة) فرفضوا السير ؛ فأبقاهم في مكانهم بامرة الفقيه (علي بن محسن البهكلي) ، وتوجه بمن معه من جنود تهامة عن طريق وادي (ضلع) الى السراة ؛ ولما وصل الى عقبة (ضلع) وجد مقاومة عنيفة وكاد ينهزم ، فلجأ الى المداهنة ؛ وبذل اموالا طائلة لبعض رؤساء عسير فدخل بعضهم في طاعته وهم له غير ناصحين .

بلغ الشريف حمود ان محمد علي باشا قد بعث قوات كبيرة لمقاطعة عسير (سراة وتهامة) عن طريق (القنفذة) بقيادة (سنان آغا) ومعه الاشراف المعادون له واللاجئون عند شريف مكة وعلى رأسهم (علي بن حيدر) و (منصور بن ناصر) ، وقد استطاعت قوات محمد علي من ارتقاء السراة بسرعة . وخشي الشريف حمود ان تستطيع القوات المصرية من الاستيلاء على عسير السراة ويقوى امرها وعندئذ يصعب عليه الوقوف في وجهها ، لذا سارع في جمع الجند والتقى معهم في معركة على ارض السراة في بلاد (بنو مالك) فتغلب عليهم بعد معركة حامية ؛ وكانت بعض قوات عسير مرابطة في رؤوس الجبال تنتظر على أي الفريقين تعدو الهزيمة أولا ؛ فلما

تحققوا من هزيمة المصريين سدوا عليهم الطرقات وعملوا فيهم قتـلا حتى لحقوا بالقائد (سنان آغا) بأسفل عقبة (شعار) فقتلوه وقتلـوا معاونه الشريف (منصور بن ناصر) وجمعا غفيرا ، ولا تزال مقبرة عظيمة برأس عقبة (شعار) تضم جثث تلك القتلى .

وقد اسرع بعض القوم الى الشريف حمود يبشرونه بقتل ابن عمـه الشريف منصور بن ناصر المعادي له والخارج على طاعته ، فاخذته العصبية وغضب لذلك ، واراد الفتك بمن بشره ولكنه فر من وجهه، ورثى الشريف حمود الشريف منصور بقصيدة طويلة . وانتقل الشريف حمود بجنـوده الى قرية (الملاحة) [1] ليجد بعض الراحة ، وليتمكن مـن الانسحاب الى تهامة بعد المفاوضة مع رجال عسير ، الا انه اصيب بمرض شديد توفي على اثره وذلك يوم الاثنين ١٤ ربيع الاول ١٢٣٣ هـ . وكانت وفاته خطبا عظيما ورزءا فادحا على قومه .

بعد وفاة الشريف حمود قام بالامر بعده ابنه الكبير احمـد فنهض بمن بقي معه من الجنود ، ونزل الى تهامة عائدا الى مقره وخائفا من زعماء عسير .

قويت شوكة رجال عسير بزعامة محمد بن احمد المتحمي ، واخذوا في الاصلاحات بين القبائل ، وقد سرهم هزيمة اعدائهم سواء اكانوا جند محمد علي ام جند الشريف حمود . ولكن لم يطل سرورهم اذ ان محمـد علي ما وصل اليه خبر هزيمة جنده في عسير ومقتل قائـدهم حتى ارسل حملتين كبيرتين ، وكانت الحملة الاولى بقيادة شريف مكة محمـد بـن

---

(١) الملاحة : قرية مشهور في السراة من قرى بني مالك تبعـد عن (أبها) ٢٠ كيلا شمالا .

عون وقد سارت باتجاه عسير السراة ، وكانت الثانية بامرة (خليل آغا) وقد اتجهت الى تهامة لتصل الى (ابو عريش) .

استولى الشريف محمد بن عون على جهات عسير بعد قتال شديد ، وحاصر بلدة (طبب) واستطاع ان يأخذها عنوة بعد خيانة ، وألقى القبض على الامير محمد بن احمد المتحمي حيث ارسل الى مصر تحت المراقبة الشديدة ، وسجن بالقاهرة . واستولى (خليل آغا) على تهامة من درب بني شعبة حتى قرب صبيا ثم حاصر مدينة (ابو عريش) وبعد ايام قلائل استولى عليها صلحا ، والقي القبض على الشريف احمد بن حمود حيث ارسل الى مصر مباشرة ، وفي هذه الاثناء توفي قائد الحملة (خليل آغا) اثر مرض ألم به ، وعادت الجنود المصرية الى الحجاز .

اما الشريف محمد بن عون فانه بعد تمكنه من قبائل عسير السراة جمع جنودا من (محايل) وكلف القبائل ان يتوجهوا معه بغزاتهم اذ قرر الاستيلاء على وادي (الدواسر) ومن حوله من عربان نجد لادخالهم في طاعة حاكم الحجاز ، وعين الشريف (هزاع) اميرا في (طبب) على قبائل سراة عسير ، وترك معه حوالي ثلاثمائة من عساكر مصر ومثلهم من عربان الحجاز ، ونهض هو ومن معه الى بلاد شهران وجعل معسكرا له هناك في انتظار تجمع القوات ، فوفدوا عليه تباعا غير غزاة (بني مغيد) فقد تأخروا عدة ايام مما اغضب الشريف ، فلما وصلوا الى المكان المحددبرئاسة (سعيد بن مسلط) استقبلهم بوجه غاضب فاعتذروا منه لتأخرهم عن الموعد ، واعلنوا ان سبب التأخر انما هو رئاسة الغزو ، الا ان الشريف محمد بن عون أخطر رئيسهم (سعيد بن مسلط) وهدده بكلام لا يليق به عده سعيد كبيرا ولكنه فضل السكوت وفي نفسه شيء .

توجه الشريف محمد بن عون وغزاة القبائل من مكان تجمعهم في

بلاد شهران اما سعيد بن مسلط فقد عاد بغزاة بني مفيد معلناً خروجه عن الطاعة ، واثناء عودته التقى ببعض غزاة بني زيد من رجال (ألمع) وغزاة بني شبلي من (علكم) في موقع قريب من وادي العزيزة [1] ، فأخبرهم بما حدث من تهديد الشريف ، فاتفقوا على قطع ساقة الشريف بالانتقام منه وطرد وقتل نائبه الشريف (هزاع) والمرابطين معه في قرية (طبب) ، وتابعوا السير فورا الى (طبب) فحاصروها مدة ستة ايام ، واستولوا عليها عنوة بعد قتال شديد داخل الحصون ، وتسلم سعيد بن مسلط ما في الحصون من ذخائر واسلحة ، وهدمت اغلب القصور حتى لا يستفاد منها في المستقبل . وبعد هذه المعركة انتقل حكم سراة عسير من بلدة (طبب)، وكذلك انتقل الحكم من (آل المتحمي) الى سعيد بن مسلط وذلك بتاريخ ٢٠ محرم ١٢٣٣ هـ اذ بايعته وجهاء قبائل عسير كلها دون اي خلاف ، واطمأن الناس في عسير السراة اما مناطق تهامة فقد اصبحت فوضى .

وفي عام ١٢٣٤ هـ تمكن ابراهيم باشا من دخول مدينة الدرعية بعد حصار لها دام خمسة شهور ، وارسل الامام عبدالله بن سعود مع بعض رجاله وعبيده تحت الحراسة المشددة التي زاد عدد افرادها على اربعمائة جندي الى المدينة المنورة ومنها الى القاهرة حيث وصل الى مصر في ١٨ ذي العقدة ١٢٣٤ هـ وحيث قابل محمد علي باشا وبعد يومين ارسل الى استانبول حيث نفذ فيه حكم الاعدام . واخذ ابراهيم باشا بقية آل سعود وابناء الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب وارسلهم الى مصر ، ولم يبق منهم الا من اختفى او هرب ومنهم (تركي بن عبدالله السعود)الذي سافر الى اطراف نجد ومعه اخوه زيد . وكان ان عمت الفوضى في انحاء نجد، واضطرب نظام الامن ، وساد الخوف حتى ترك الناس بيوتهم .

---

(١) العزيزة : مكان قريب من (طبب) من جهة السقا ، ومكان الاتفاق اطلق عليه اسم (المجمعة) ومعروف حتى اليوم .

الفصل الثاني

إمارة آل عائض

١٢٣٣ – ١٢٨٨ هـ

ان امراء عسير الموضح بيانهم في هذا الفصل من بطن من آل يزيد او آل عايض بن مرعي ؛ وبتسلمهم الحكم انتقلت قاعدة عسير من (طبب) الى (السقا) ثم الى (ابها) .

١ ـ سعيد بن مسلط تولى الامارة عام ١٢٣٣ هـ ومات بصورة طبيعية في صفر عام ١٢٤٢ هـ .

٢ ـ علي بن مجثل تولى الامارة عام ١٢٤٢ هـ ومات بصورة طبيعية في محرم عام ١٢٤٩ هـ .

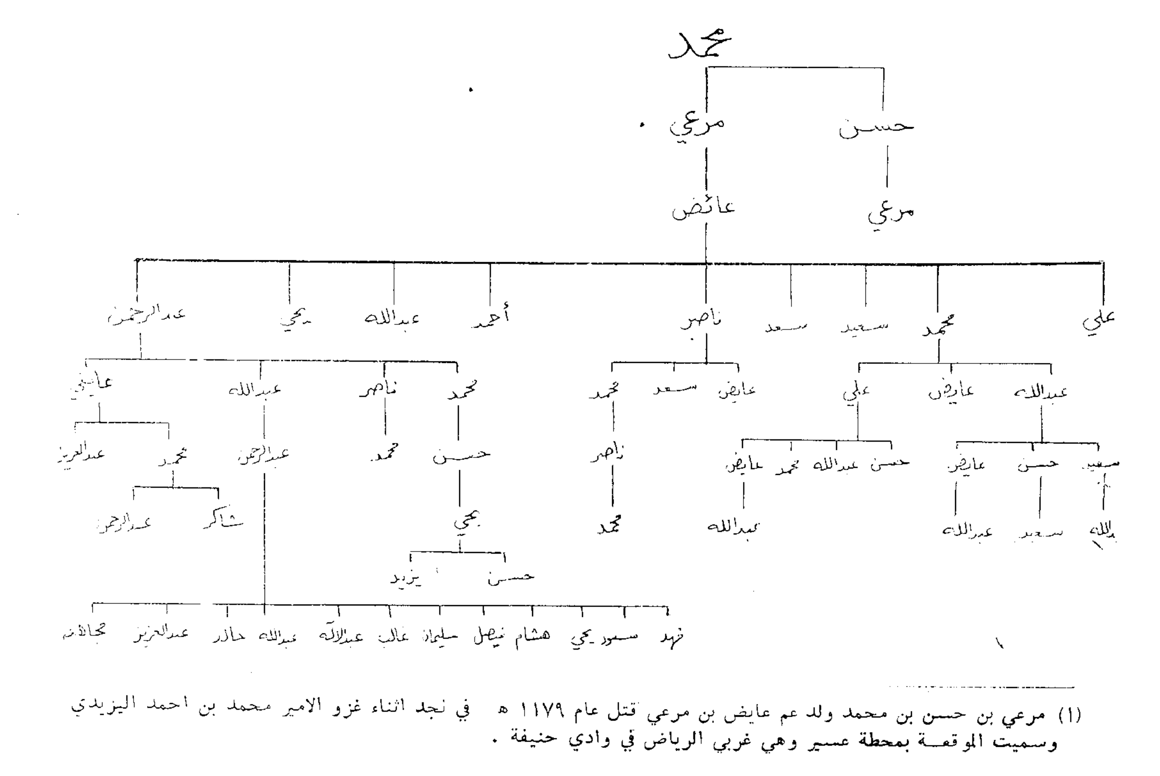
٣ ـ عايض بن مرعي تولى الامارة عام ١٢٤٩ هـ ومات بصورة طبيعية عام ١٢٧٣ هـ .

٤ ـ محمد بن عايض تولى الامارة عام ١٢٧٣ هـ ومات قتلا وغدراً عام ١٢٨٨ هـ .

٥ ـ علي بن محمد تولى الامارة عام ١٢٩٥ هـ ومات مسموما في ريدة عام ١٣٢٣ هـ .

٦ ـ حسن بن علي تولى الامارة عام ١٣٣٠ هـ ومات بصورة طبيعية في الرياض عام ١٣٥٧ هـ .

تنتسب اسرة آل عايض الى عايض بن مرعي الذي سارت الركبان بخبره وشاع ذكره وشهرته .



(١) مرعي بن حسن بن محمد ولد عم عايض بن مرعي قتل عام ١١٧٩ هـ في نجد اثناء غزو الامير محمد بن احمد اليزيدي وسميت الموقعة بمحطة عسير وهي غربي الرياض في وادي حنيفة .

١ ـ امارة سعيد بن مسلط :

ينتسب سعيد بن مسلط الى عشيرة آل يزيد الاموية ، وهم فخذ من جماعة اهل (السقا) ، وبطن من قبيلة بني مغيد المعروفين بالكرم والبسالة • وقد استطاع سعيد بعدما احرز من نصر على حامية (طبب) أن ينقل قاعدة عسير الى منطقته ومسقط رأسه (السقا) ، وقد قوي نفوذه على قبيلة بني (مغيد) بخاصة وسائر القبائل بعامة رغبة او رهبة ، وأنفذ اوامره بعد مدة وجيزة على مقاطعة عسير السراة كافة وذلك بمساعدة ابن عمه (علي بن مجثل) ، كما فرض سيطرته على قبائل رجال ألمع وغيرهم من قبائل تهامة •

وفي عام ١٢٣٦ هـ بعث الشريف محمد بن عون قوة بقيادة الشريف راجح الى عسير عن طريق (بيشة) بقصد اخذ الثأر من رجال عسير الذين أوقعوا بحامية الشريف في (طبب) • وعندما وصلت هذه القوة الى وادي (عتود) قرب (خميس مشيط) التقت بالامير سعيد بن مسلط مع جنوده فهزمت قوة الشريف هزيمة منكرة وقتل قائدها الشريف راجح • وارتفع اسم سعيد بن مسلط عاليا ، ولم يكن له من مساعد اذ كانت الدرعية قد سقطت بيد ابراهيم باشا وآل سعود مشتتين والنكبات تتوالى على نجد•

وفي عام ١٢٣٨ هـ جهز احمد باشا امير مكة من قبل الدولة العثمانية قوة بقيادة الشريف محمد بن عون الذي جاء عن طريق (بيشة) ايضا، ولما وصل الى حدود بلاد عسير استعد اهل البلاد للدفاع عن اوطانهم، وعندما وجد الامير سعيد بن مسلط كثرة جنود الشريف لجأ ومن معه الى الجبال، وبدأ في حرب العصابات التي تقطع عليهم الطرقات وتغير عليهم في الليالي، واجتمع حول سعيد ما يقرب من خمسة آلاف هاجم بها قوات الشريف في عدد من المواقع ، ثم بدأت المفاوضات بين الفريقين انتهت بعقد صلح

كان قاسيا على الامير سعيد الذي رضي به كمرحلة لجلاء المهاجمين عن بلاده . فلما خرجوا الى وادي (شهران) اسرع سعيد فقطع عليهم خط الرجعة وهاجمهم من عدة جهات ووقعت معركة عنيفة بين الفريقين انتهت بهزيمة الشريف محمد بن عون وانسحابه الى (بيشة) ومنها الى مكة المكرمة ، وهذا ما زاد من غضب احمد باشا على العسيريين .

جهز احمد باشا قوة كبيرة ، واسرع الى عسير عن طريق (القنفذة) فلما وصل الى وادي (حلي بن يعقوب) وجد امامه قوات عسير بقيادة سعيد بن مسلط ، فبدأت حرب العصابات وقطع الطرقات والهجوم ليلا على المعسكرات مما اضعف قوة احمد باشا ثم حل بها امر لم يكن بالحسبان اذ هطلت عليها امطار غزيرة وبرد عظيم اهلك عددا كبيرا منها وهي ترابط بوادي (السرح) ومن نجا فر عائدا الى مكة .

وفي عام ١٢٤١ هـ تحسنت ادارة الامور بمقاطعة عسير ، وشرع سعيد بن مسلط في اصلاح الشؤون الداخلية بين القبائل وجباية الاموال وجمع الزكاة ، وسار في الناس سيرة حسنة ، ولم يزعجه شيء سوى وجود بعض الاتراك في صبيا بمساعدة اشراف (ابو عريش) . وفي هذه الاثناء وقع خلاف بين قبيلة (آل ختارش) وقبائل (قنا والبحر) فبعث اليهم سرية لتأديبهم وردعهم ، وانتهى الخلاف بينهم صلحا .

واصيب سعيد بن مسلط بمرض شديد توفي على اثره بتاريخ ٢٢ صفر ١٢٤٢ هـ عن عمر يناهز الخامسة والستين كما توفي في العام نفسه العالم عثمان بن علي بن عيسى النجدي وقد ارسل من قبل الامام عبد العزيز قاضيا ومرشدا لبلاد عسير ، فاقام بقرية (السقا) مدة من الزمن ثم عاد الى نجد .

٢ ـ امارة علي بن مجثل :

تولى علي بن مجثل الامارة بعد وفاة سعيد بن مسلط . وقد بايعه رؤساء ووجهاء القبائل ، الا ان قبائل (عيسى) بتهامة قد افسدوا وقطعوا الطرقات ، فارسل اليهم قوة اخضعتهم ، وتوجه الى صبيا لاخراج الترك منها فانتصر عليهم ، وهرب قائدهم (عجراف افندي) وعسكر من بقي منهم في جهات تهامة الجنوبية .

وفي عام ١٢٤٣ هـ شرع علي بن مجثل في تأديب القبائل التهامية وتمكن من ذلك سوى أمير (ابو عريش) من الاشراف فقد تقوى بقوة من الاتراك ، واستقل في قاعدته ، فسار اليه علي بن مجثل بعد ان طلب مددا من رجال (ألمع) ، واحاط بابي عريش ثم جرت مفاوضات اذ ارسل امير عسير (مشاري بن حسن) و (ابو طايف) من رؤساء رجال ألمع، وسعوا بالصلح ، وقد تم ، وعاد علي بن مجثل الى بلاده حيث بلغه ان قبيلة (وادعة) قد نقضت العهد .

وفي عام ١٢٤٤ هـ سار علي بن مجثل بجنود كثيرة الى قبيلة (وادعة)، واقام من بلادهم وارسل اليهم من يرشدهم عليهم يرعوون ، ولكن ذلك لم يجد معهم ، فعندها تقدم واحتل ارض (وادعة) عنوة وقد قتل منهم خلقا كثيرا فأسلموا له واطاعوه . ولكن عادوا فثاروا مع بعض قبائل قحطان عام ١٢٤٦ هـ فاضطر امير عسير الى ان يسير اليهم ويخضعهم مرة اخرى .

ثارت قبائل (الريث) و (الصهاليل) و (بنو مالك) بجهات تهامة جيزان وكثرت تعدياتهم على القرى المجاورة فغزاهم علي بن مجثل عام ١٢٤٧ هـ ، واجبرهم على العودة الى الحق والهدوء ، وخافه امير (ابو عريش) الشريف (علي بن حيدر) فنقض العهد ومن معه ، فارسل اليهم

سرية ؛ ودارت المفاوضات بين الفريقين انتهت بمغادرة الجند الاتراك وقائدهم (الماس آغا) وعسكر الارناؤوط لمقاطعة تهامة ، وان تسند ادارة البلاد الداخلية الى علي بن مجثل الذي دخل (ابو عريش) واخذ من اهلها العهد ؛ وفصل بينهم في الخلافات ؛ ثم عين اميرا من رجال عسير، وانزله في قصر الامارة المسمى (دار النصر) ؛ ثم غادر (ابو عريش) في ربيع الاول ١٣٤٨ هـ ، ولكنه لم يطمئن على سواحل الجهات اليمانية التي بقي فيها (ألماس آغا) وجنوده الاتراك .

قويت شوكة (ألماس آغا) في سواحل اليمن فاستولى على (الحديدة) و (المخا) و (زبيد) ؛ واكثر الفساد في تلك الجهات حتى ليقال انه جمع بين الاختين فاتجه اليه علي بن مجثل واثناء سيره التقى ببعض رؤساء القبائل الهاربين من اعمال (ألماس آغا) وصحبه ، وهذا ما جعل امير عسير يسرع الخطو نحو تهامة ؛ ولما وصل الى (المخا) حاصرها ؛ وتسلق جنده اسوارها ؛ واستولوا عليها بعد قتال عنيف ، وغنموا اموالا كثيرة وذخائر ومعدات لا حصر لها . ثم اتجه علي بن مجثل الى (زبيد) وحاصرها حتى استولى عليها ؛ اما (الحديدة) فقد دخلها صلحا في شعبان عام ١٣٤٩ هـ، واخرج منها الاتراك جميعا . وعين عليها (محمد بن مفرح) اميرا ؛ وابقى اربعمائة رجل من عسير . كما ترك في كل من (المخا) و (زبيد) مرابطين من عسير . وعاد مع جنده الى السراة .

مرض علي بن مجثل اثناء الطريق مرضا شديدا الزمه الفراش ، واضطر من معه ان يحملوه على الاكتاف ؛ وبقي في قصره بقرية (السقا) حتى توفي في ١٢ شوال ١٣٤٩ هـ . وكان رحمه الله اهل دين وتقوى ورجل شجاعة وحرب ؛ سار بالناس سيرة حسنة ، وقد بذل كثيرا من المال في سبيل المبرات . وقد حفر البئر المشهورة بين (خبت البقر) ووادي (بيش) في ارض مقفرة خالية من الماء والسكان ؛ وتسمى الآن (بئر علي) ولا تزال قائمة الى الآن .

تبع اهالي جزر دهلك القريبة من ساحل ارتيريا عسير في عهد علي بن مجثل . وعندما توفي رحمه الله كان وضع بلاده عصيبا اذ ان اشراف (ابو عريش) وبقية الاتراك يناصبونه العداء ، وشريف مكة المكرمة محمد بن عون ومن معه من الاتراك يحاولون غزو عسير ، وحاكم (صعده) والقبائل اليمانية يترقبون الفرصة لاخذ الثأر بعد استيلائه على بلاد قبيلة (وادعة).

٣ ـ امارة عائض بن مرعي :

تولى الامارة عائض بن مرعي بعد علي بن مجثل وحسب وصيته لما يعلم فيه من الكفاءة والدهاء والدين وحسب اتفاق رؤساء القبائل عليه ، لان عائض اهل دين وورع وذو حزم ورأي .

علم الشريف علي بن حيدر بوفاة امير عسير علي بن مجثل فاراد الانتقام من رجال عسير المرابطين في (ابو عريش) بقيادة (مغرم بن حسن) فألقي الحصار عليهم ، وكذلك نقض الاشراف الحوازم العهد الذي بينهم وبين امير عسير ، فأسرع عائض بن مرعي على رأس حملة لتأديب المتمردين وفي شهر ذي الحجة عام ١٢٤٩ هـ وصل الى قرب (صبيا) و (ابوعريش) ومن هناك ارسل مندوبين عنه للمفاوضة ولكنها لم تجد فحدثت بعض المعارك الجانبية . وفي هذه الاثناء بلغ الامير عائض ان شريف مكة محمد بن عون قصد عسير بغية احتلالها ، فرأى امير عسير ان يعلن هدنة مع الاشراف . وان يعود مسرعا الى قاعدة حكمه في (السقا) للاستعداد لملاقاة شريف مكة .

جاء الشريف محمد بن عون ومعه (دوسري بن عبد الوهاب المتحمي) الذي قدم من مصر . ومعهما حملة كبيرة ، وكان الطريق عن (بيشة) ، وفي ٢٤ ربيع الآخرة عام ١٢٥٠ هـ وصلت الحملة الى بلاد شهران ، والتقت بـ (عائض بن مرعي) قرب وادي (عنود) فحدثت عدة مناوشات انتهت

بمعركة حامية في قرية (حجلة) انتهت بانسحاب عائض بن مرعي وتقدم محمد بن عون في وادي (أبها) حتى وصل الى (أبها) على حين تقدم (دوسري بن عبد الوهاب) الى بلدة (طبب) مركز آبائه ، ولما رأى عائض بن مرعي قوة المهاجمين قرر حرب العصابات ، واستطاع القاء الحصار على أبها ، وفي جمادى الآخرة تمكن من اخراج الشريف محمد بن عون من المدينة المحاصرة ، وطرده الى جهات (بني شهر) ، حيث طلبا نجدة من حاكم مكة المكرمة على ان تأتي المساعدة عن طريق (القنفذة) .

ثار اهالي (ابو عريش) و (جيزان) ضد الامير عائض بن مرعي لما علموا بالحملات التركية من الحجاز واخرجوا امراءه من مراكزهم ومنهم (محمد بن مفرح) الذي اخرج صلحا من (الحديدة) .

ارسل (عباس باشا الاول) خديوي مصر حملة مؤلفة من عشرة آلاف جندي بقيادة (احمد باشا) ، كما طلب من شريف مكة ان يجهز حملة من عربان الحجاز ففعل وجعل اميرها (احمد بن عون) ، وخرج الجميع من مكة المكرمة عن طريق ساحل البحر ، ولما وصلوا الى (القنفذة) انضم اليهم (دوسري) الذي جاء من (تنومة) بعد فراره من (طبب) التي احتلها — كما رأينا — تقدم الجميع الى وادي (قنا) واحرقوا فيه عدة حصون . وبعد قتال قبائل تلك النواحي اتجهوا الى (محايل) ومنها الى بلاد (رجال ألمع) ، بعث عائض بن مرعي الى قبائل تهامة لصدالمعتدين مضايق الطرقات . وطلب من رجال ألمع حماية حدودهم في اسفل وادي (حلي) وحفر الخنادق ، ولكن (احمد باشا) و (دوسري) اجتازوا تلك الخنادق وتغلبوا على رجال ألمع . ووصل احمد باشا الى بلدة (الشعبين) وقرر الاقامة فيها في الوقت الذي ارسل قسما من الجند بقيادة الشريف احمد بن عون عن طريق السراة اذ ارتقى عقبة (تنومة) ومنها تابع سيره حتى استولى على قاعدة عسير (السقا) بعد عدة معارك خسر في احداها

وهي التي كانت على ابواب (السقا) خسائر عظيمة وقتل من جنده ما يزيد على اربعمائة نفر .

ووصلت جنود تركية وحجازية مرة اخرى عام ١٢٥١ هـ كدعم للقوات الموجودة في عسير والمستقرة في (الشعبين) بامرة احمد باشا وفي قرية (السقا) بقيادة الشريف احمد بن عون . وبدأ الامير عائض بن مرعي في القتال على شكل حرب عصابات وشن الغارات ليلا ونهارا ووقعت معارك كثيرة بين الطرفين اشهرها .

١ ـ وقعة (الحفير) .
٢ ـ وقعة في وادي (العزيزة) .
٣ ـ وقعة في (المراء) وكانت قبيلة (ربيعة ورفيدة) من قبائل عسير تقاتل بجانب قوات احمد باشا لان (دوسري عبد الوهاب) من زعمائهم وهو مع احمد باشا .

٤ ـ معركة (القويد) ، وقد انهزم فيها جند الشريف .
٥ ـ معركة وادي (كسان) . وانهزم فيها جنود احمد باشا .
٦ ـ وقعة (الشعبين) وقد تراجع فيها المصريون من بلاد رجال ألمع باتجاه (القنفذة) .

٧ ـ معركة في بلاد بني شهر اذ هاجم اهل هذه القبيلة الجنود الاتراك والمصريين المرابطين في بلادهم واخرجوهم من بلادهم صلحا بعد استيلائهم على جميع الاسلحة والمعدات التي وجدت معهم .

وبعد هذه الانتصارات بعث الامير عائض بن مرعي مندوبين الى الامام فيصل بن تركي يحملون بشائر النصر ، ومعهم هدايا من الاسلحة والعتاد من الغنائم ، وكذلك خمس الغنائم ، ومعها قصيدة للشيخ علي بن

الحسين الحفظي يذكر فيها مفاخر قومه وما احرزوه من انتصارات ومطلعها :

ايا أم عبد مـالك والتشرد ومسراك بالليل البهيم لتبعد

وفي الدرعية تقبل الامام فيصل الهدية واكرم مندوبي الامير عائض ورد على قصيدة الحفظي بقصيدة من نظم الشيخ احمد بن علي بن مشرف مطلعها :

بشير سعاد جاء نحوك فاسعد وقد وعدت وصلا فأوفت بموعد

وقد انتشرت المجاعة والقحط في بلاد عسير عام ١٢٥٢ هـ ومع ذلك فقد ارسل الامير عايض ٣٠٠ رجل على نفقته الخاصة لطلب العلـم عنـد الشيخ زين العابدين بن محمد الحفظي .

ثار (ابن عطيف) في تهامة عام ١٢٥٣ هـ ضد الامير عائض ، وعاث فسادا في بلاد تهامة . وفي الوقت نفسه نزلت جماعات من (نجران) وبادية (يام) الى المخلاف السليماني والمسمى الآن (بيش) و (صبيا) ، واحدثت هناك فتنة عظيمة الامر الذي اجبر اهالي المخلاف ان يلجؤوا الى الاتراك الموجودين بالسواحل اليمانية بين المخا والحديدة ، وجمعوا من هناك قوات كثيرة التقت مع القبائل اليامية والنجرانية قرب صبيا فانهزم الياميـون وفروا الى اعالي جبال تهامة . وقد ارسل الامير عائض بن مرعـي سريـة برئاسة (ابن معدي) تقيم في درب بني شعبة لترد العصاة فيما لو ارادوا التقدم نحو عسير ، فأقامت هذه السرية مدة ثم عادت .

نقل الامير عائض بن مرعي قاعدة حكمه من (السقا) الى (ابها) ، وبنى فيها قصر (مازن) وحفر تحته بئر (الشميطية) المعروفة حتى الآن وكان قد سبق ان بنى علي بن مجثل عدة حصون في ابها في حي (المفتاحة)، وجعلها مقرا للخيول المعدة للغزو . وفي الوقت نفسه غزا الامـير عائض

منطقة بني شهر لانهاء بعض الحوادث ، كما استولى على بلاد غامدوزهران وجعل (رغدان) قاعدة تلك الجهات ، ورجع بعدها الى مقره في رجب عام ١٢٥٤ هـ .

اراد احمد باشا حاكم مكة استعادة بلاد غامد وزهران من يد الامير عائض وفي الوقت نفسه اراد الاخذ بالثأر من اهل عسير الذين هزموا قواته . واستطاع ان يجمع من الجنود ما يزيد على العشرين ألفا ، وسيرهم قسمين : انطلق الاول عن طريق القنفذة ، وسار الثاني عن طريق الطائف باتجاه بلاد غامد . ولما بلغ الامير عائض خبر ذلك جمع الجند ، وفي شهر صفر عام ١٢٥٥ هـ التقى الجيشان في باحة رغدان فانتصرت قوات احمد باشا وهزم العسيريون الذين وجدوا خصومة من بعض قبائل (زهران) و (شمران) اكثر مما وجدوا من الاعداء .

وبعث احمد باشا سرية اخرى عن طريق تهامة ، ولما وصلت الى قرى (بارق) كان عائض بن مرعي قد امر قبيلة (آل موسى) واهالي (قنا) و (بنو ثوعة) ومن حولهم من العربان ان يصدوا تلك السرية ، فعملوا على ذلك واستطاعوا هزيمة جند احمد باشا وتبعوهم في كل مكان ، ولما وصل خبر هذه الهزيمة الى احمد باشا انسحب من بلاد (غامد) خوفا من ثورة القبائل عليه وعاد الى مكة بحجة ان حاكم مصر منعه من الاستيلاء على بلاد عسير حاليا .

جهز الامير عائض حملة ضد مانعي الزكاة من قبائل (الجهرة) و (بنو مأجور) و (الحقو) ادبتهم واعادتهم الى الحق وذلك عام ١٢٥٦ هـ ، ونتيجة هذه الحملة خاف رؤساء قبائل (صبيا) و (ابو عريش) فأرسلوا مندوبين الى الامير عائض فتم الاتفاق بين الشريف (الحسين بن علي) والامير عائض على ان تخضع هذه القبائل لعسير على ان تبقى ادارة بلادهم

المحلية بيدهم وعلى ان يخرج الاتراك من سواحل تهامة بمساعدة الامير عائض .

ارسل الامير عائض حملة بامرة (محمد بن مفرح) انضمت الى قوات (الشريف الحسين) ، وسار ابن مفرح بالجنود العسيرية والتهامية واستولوا للمرة الرابعة على سواحل تهامة حتى الحديدة واخذوا في اخراج الاتراك وارسالهم بحرا الى بلادهم ما عدا ميناء (المخا) فقد بقي فيه بعض الاتراك . وعاد ابن مفرح مع سرية الى ابها عن طريق جيزان بناء على طلب الامير عائض ؛ اما الشريف حسين فقد اسندت اليه مهمة اخراج الترك من (المخا) .

امر عائض بن مرعي ابن مفرح بمواصلة سيره الى بلاد غامد وزهران حيث انسحب منها احمد باشا عائدا الى مكة ؛ وعندما وصل احمد باشا الى مكة امر باطلاق سجناء رجال ألمع الموجودين في (جدة) وفي هذا العام عاد الشريف محمد بن عون من مصر حاكما للحجاز حيث غادرها احمد باشا ؛ وارسل الامير عائض في موسم الحج محمد بن مفرح مندوبا عنه للتفاهم مع الشريف ابن عون لتحسين صلة الجوار واقامة صداقة .

وحكم نجد خالد بن سعود الذي نشأ في دار محمد علي باشا حاكم مصر ؛ وشرع في ادارة قبائل نجد باسلوب حديث لا يتناسب والاعراف السائدة فعاداه اهل البلاد مدة سنتين واخيرا تمكنوا من خلعه ؛ وتولى الحكم بعده عبدالله بن ثنيان الذي ينتهي نسبه بسعود الاول ؛ وكان مستبدا وارهق الناس بكثرة الضرائب فلم يصبروا على حكمه اكثر من سنة ؛ وقد رأت الدولة العثمانية بواسطة حاكم مصر اعادة الامام فيصل بن تركي حاكما على عموم نجد لما عرف فيه من الاخلاص والكفاءة للحكم؛ وقد تمتع عهده بالخيرات ؛ وبسط نفوذه على الجزء الاكبر من الجزيرة العربية ودانت له جميع القبائل حبا لا كرها .

وفي هذه السنة ١٣٥٧ هـ ارسل الامير عائض بن مرعي سرية لتأديب قبيلة (مقاطرة) وادخالها في طاعته بعد اخذ الزكاة منها •

وفي عام ١٢٥٩ هـ خرجت قبائل (بالحرث) عن طاعة الشريف (الحسين بن علي) الذي نصبه الامير عائض بن مرعي اميراً على تلك الجهات ، فاستنجد الشريف بأميره فامده بسرية بقيادة الشيخ (ابن عواض) استطاعت ان تستولي على بلاد (بالحرث) وتأخذ منها الاموال والمواثيق• وفي الوقت نفسه تمردت قبائل جبال تهامة (بيش) و (بنو مالك) و (بنو خالد) و (الصهاليل) و (الريث) وامتنعت عن دفع الزكاة الامر الذي اضطر الامير عائض بن مرعي ان يغزوهم بجنود كثيرة استطاعت ان تستولي على بلادهم قهرا ، كما استولت على جبل (الريث) المسمى(القهر) وهرب اكثر المتمردين الى تهامة الجنوبية •

عاد الامير عائض بن مرعي الى السراة عن طريق بلاد (سنحان) حيث سمع بقيام تظاهرات ضده ؛ وقد تعب جنده لسوء المواصلات ، وعندما وصل الى بلاد (سنحان) خافت قبائل قحطان من سطوته وبطش جنوده رغم انه كان يتحاشى سفك الدماء • وقد جاءته بعض قبائل قحطان معتذرة اليه ومن اناشيدهم :

يا المقدم ليس هو حقا عليك	تصفد اهل الوقوع البينة
ان قحطان سيفك في يدك	مثل شومان[1] ماله عينة

وارسل حاكم (صعدة) و (سحار) مندوبا عنه يدعى (محسن بن عباس) ومعه وجهاء القبائل ، فقابلوا الامير عائض ، وطلبوا منه مندوبين عنه للمفاوضة والاتفاق مع وضع حدود بين البلدين ، فارسل وفدا برئاسة

---

(١) **شومان** : اسم سيف من اسماء سيوف آل عائض المشهورة ، ومن **هذه الاسماء** (لسان الذئب) و (الحويزة) و(الرعاف) و (البارق).

(ابن ضبعان) للتفاوض مع حاكم صعدة • وعاد امير عسير الى وطنه؛ ولم تمض غير مدة قصيرة حتى رجع ابن ضبعان مع الوفد ومعه رؤساء(وادعة) وقبائل الجهات فاعطوا السمع والطاعة للامير عائض فاشترط عليهم اقامة الشريعة الاسلامية ، والقاء دروس في التوحيد ؛ ومعاداة اهل الشرك •

اخذ الامير عائض يقيم في بلدة (ريدة) ، وبنى القصور ذات الطوابق الخمسة والستة استعدادا للطوارىء العسكرية ، كما باشر في بناء مسجد (السقا) الذي لا يزال قائما •

وقع خلاف بين الشريف (علي بن حيدر) وبين امير قبائل(الواعظات) وما يليها من جهات تهامة الجنوبية المدعو (علي بن يحيى حميدة) الـذي سبق ان عقد معاهدة صداقة بينه وبين الامير علي بن مجثل ، وطلب الآن من الامير عائض مساعدته ضد الشريف الحيدري ، وارسل له وفدا ومعـه قصيدة ، ولكن الامير مرعي اعتذر من الوفد لوجود صداقة بينـه وبين الشريف ، ولكن طلب هدنة سنة بين الطرفين على ان ينظر في امر الخلاف، فوافق الطرفان على هذا وتمت الهدنة •

كان قد بقي بعض الاتراك والمصريين في بلاد (بيشه) و (غـامر) و (شمران) فاضطر الامير عائض ان يجمع جنودا ويسير الى تلك الجهات لابعاد الاتراك والمصريين عن تلك النواحي واصلاحها • فلما وصل الـى (بيشة) اقبلت اليه القبائل تعلن دخولها في الطاعة رغبة لا رهبة ؛ وعندما طهر المنطقة من الاتراك انتقل الى بلاد (غامد) و (زهران) و (بالقرن) فاستقبل من اهلها وبعد ان مكث مدة قصيرة عاد الى (ابها) بقسم مـن جنده ، وامر القسم الآخر ان يرجع عن طريق تهامة •

وفي عام ١٢٦٢ هـ نقضت قبائل (سحار) و (بنو جماعة) وباديـة (يام) العهد وخرجت عن طاعة الامير عائض بن مرعي ، فجهز عليهم حملة

سار على رأسها ، وجرت بين الطرفين معارك عديدة منها وقعة (ميلمـــة) التي قتل فيها ما يقرب من خمسمائة قتيل من القبائل وانتصر الامير عائض عليهم ، واخذ البيعة من رؤسائهم ومنهم (ابن مقيت) وعرفاء (سحـــار) و (همدان) على السمع والطاعة والجهاد ودفع الزكاة والانقياد للشريعة واقامة مدارس للتوحيد اسوة بقبائل (قحطان) .

وفي عام ١٢٦٣ هـ وصلت قوة من امام صنعاء الى تهامة (ابو عريش) والتقت بقوة الشريف (الحسين بن علي) في قرية (القطيع) وجرى قتال شديد ، انتصرت فيه قوة صنعاء ، واخذ الشريف الحسين اسيرا فسجن في قرية قرب مدينة صنعاء ، الا ان سيطرة امام صنعاء على تلك النواحي لم يدم طويلا ، اذ لم يلبث اهل صنعاء ان خلعوا الامام (محمـــد بن يحيى) وبايعوا (علي بن المهدي) واثناء هذه الحركة هرب الشريف الحسين مـــن السجن ، وعاد الى مقره ، كما انه استعاد ما كان قد خسره من الارض . وفي الوقت نفسه وفد على الامير عائض امير (ابو عريش) الشريف احمد بن حمود فاستقبله الامير واحسن وفادته ، واتفـــق معه على الصداقـــة والتعاون . وفي اواخر هذا العام احيى الامير عائض اراضي زراعيـــة في وادي (بيش) في الموقع المسمى (مسلية) في سبيل استمالة قبائـــل تلك الجهات مثل (الريث) وغيرها .. ولكنه وقع خلاف بين امير (صبيـــا) و (جيزان) وبين امير (ابو عريش) فارسل الامير عائض سرية هـــدأت الاوضاع وقضت على الخلاف .

وفي عام ١٢٦٦ هـ ارسل الامير عائض بن مرعي سرية لتأديب قبيلـــة (آل حدرة) التي خرجت عن الطاعة ، فأدبتها واعادتها الى الخضوع . وفي هذا العام انتشرت الامراض السارية في عسير ، هلك نتيجتها خلق كثير ، كما انتشر مرض الطاعون في مكة المكرمة في موسم الحج فماتت جمـــوع كثيرة واضحت الخيام في منى خاوية والاموال متروكة .

ازدهرت الحالة الاجتماعية في عسير في الفترة بين ١٢٦٨ ــ ١٢٧٣هـ وعاش الناس في رخاء ، وهدأت الاموال في ظل حكم الامير عائض • الا ان الامير لم يلبث ان اصيب بمرض توفي من اثره في ١٣ شعبان عام ١٢٧٣ هـ : وقام بالامر مكانه ابنه محمد بن عائض حسب وصيته ، وكان مريضا فاخذ البيعة بالنيابة عنه محمد بن مفرح ، وكان الامير عائض قد اوصى بهذا وقال : ان عوفي محمد تسلم الامر والا قام به ابن مفرح حتى يجتمع اهل الحل والعقد على رجل منهم ، ولم تمض غير مدة قصيرة على وفاة الامير عائض حتى عوفي ابنه محمد فقام بالامارة •

٤ ــ امارة محمد بن عائض :

جمع محمد بن عائض الدهاء والشجاعة بجانب قيادة الجيوش وفتح الحصون • وقد بلغه عام ١٢٧٣ هـ ان رئيس بلدة (ابو عريش) محمد بن حسن قد اظهر المباينة لامراء السراة ، واعلن العصيان على حاكم تلك الجهات من قبل آل عائض وهو (محمد بن حسين الحازمي) ، لذا جهز الامير محمد حملة اتجهت الى (ابو عريش) والقت الحصار عليها ، ودعت اهلها الى السلم ، فرفض الشريف ذلك ، ولما حمل الامير محمد بن عايض بصدق على المدينة خرج الشريف متنكرا بثياب جند عسير ، وامتطى فرسه هاربا بنفسه الى جهة امير قبيلة (سفيان) بـ (العارضة) ، وكان مرامه ان يصل الى بلاد (يام) ويستنجد بأهلها ، وقد بلغ الامير محمد فرار الشريف من قصره المسمى (الشامخ) فدخل المدينة سلما بعد ان اعلم وجهاءها بما تم ، وبايعه اعيان ابي عريش فعين عليهم محمد بن حسين العريشي اميرا عليهم ، ولكنه غدر به بعد عدة ايام فمات مسموما قبل مغادرة محمد بن عائض للمنطقة • ولهذا كان يتناوب امارتي (جيزان) و (ابو عريش) امراء من رجال السراة •

وفي عام ١٢٧٤ هـ جمع الامير محمد جنوده وسافر بهم الى (بيشة)

ومنها الى بلاد (زهران) و (بالقرن) لاصلاح شؤون تلك الجهات ، وعين عبدالله بن علي بن مجثل قائدا لسرية ترابط في بلاد غامد لمدة سنة • وعاد بعد ذلك الى مقره ، حيث اقام القلاع والقصور في بلدة (ريدة) •

وفي عام ١٢٧٦ هـ بعث الامير محمد مندوبين من قبله الى مكةالمكرمة لمقابلة الشريف عبد المطلب الذي عاد من استانبول والمفاوضة معه • كما ارسل سرية بامرة يحيى بن مرعي للمرابطة في بلاد غامد بدلا من السرية الموجودة فيها • وفي هذا العام قتل الشريف محمد بن حيدر في بلدة صبيا على اثر قتال وقع بينه وبين رجال من قبيلة (يام) كانوا عنده مرتزقة من اجل الطوارىء وبخاصة ضد الاتراك الذين كانوا يأتون من البحر فجأة بين المرة والاخرى •

وغزا الامير محمد قبائل (تثليث) لوقوع اختلافات في تلكالجهات، فاستولى على بلادهم وادبهم •

وفي هذه السنوات اختل نظام الحكم في نجد بعد وفاة الامام فيصل بن تركي اذ تنازع على الحكم ابناؤه من بعده وهم : عبدالله وسعود ومحمد وعبد الرحمن ، فقام سعود ينازع اخاه عبدالله ، واضطر ان يلتجيء بعد فشله الى الامير محمد بن عائض ، ويطلب منه المساعدة ضد اخيه ، فاعتذر الامير محمد لما بين آل عائض وآل سعود من صلة • فغادر سعود ابها متجها الى قبيلة (يام) واهل (نجران) فناصروه ؛ ولما علم الامير محمد بمساعدة اهل نجران لسعود نكل بهم ، واخطرهم بعدم العودة لمثلها • وكان عبدالله بن فيصل قد علم باستقرار اخيه سعود عند آل عائض وارسل الى الامير محمد هدية بصحبة الشيخ (حسين بن احمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب) والشيخ (سعد بن ربيعة) وكتب الى اخيه سعود بالعودة اليه ، وانه سيعطيه ما يطلب، فأبى

سعود ان يرجع ، وقد اقام وفد عبدالله بن فيصل في ابها عدة ايام مكرما غاية الاكرام ، ثم عاد بهدية الى امام الرياض ، ورسالة تخبر الامام ان الامير محمد قد اشار على سعود بالرجوع الى اخيه وترك الشقاق ، وانه اتخذ كل وسيلة لهدايته فلم يفلح . ومع نصرة اهل نجران ويام والعجمان وغيرهم من بادية قحطان لسعود بن فيصل بداية حرب بين آل سعود ، ثم بينهم وبين آل الرشيد في حائل وانتهى الامر بضعف آل سعود وسيطرة آل الرشيد على نجد .

غزا الامير محمد بن عائض عام ١٢٨٠ هـ قبيلة (الريث) وما يجاورها من قبائل تهامة والقاطنين بأعلى وادي (بيش) نتيجة تعدياتهم . فلما وصل الى بلادهم تحصنوا في جبالهم المنيعة وبخاصة بجبل (القهر) الا انهم قد غلبوا على امرهم ، فجمع رؤساءهم في المكان المسمى (ركان) وسجنهم ، وجعل عليهم اخاه سعد بن عائض لينقلهم الى ابها ، فقتلهم سعد تدريجيا حتى انتهى منهم جميعا قبل وصولهم الى (ابها) ، وكذلك عاد الامير محمد مع جنده الى قاعدة حكمه .

ارسلت الدولة العثمانية حملة الى عسير بقيادة احمد باشا السليماني عن طريق البحر الاحمر ، واستطاعت هذه الحملة ان تستولي عام ١٢٨١هـ بمدة قصيرة على (جيزان) و (الحديدة) ، ومما ساعد تقدمهم مناصرة الشريف محمد بن علي بن حيدر لهم وهو الذي سبق ان عينته الدولة العثمانية قائمقام على (جيزان) و (صبيا) ثم هرب اليها لما خاف سطوة القبائل عليه . بدأت القوات العسيرية المرابطة في (أبو عريش) تهاجم المعسكرات التركية ، ولكنها هزمت في النهاية .

وفي عام ١٢٨٤ قامت قبائل رجال ألمع بالثورة ضد الامير محمد بن عائض ، وكانوا برئاسة ابراهيم بن محمد بن متعالي ومحمد بن مشاري ،

وبدؤوا يستميلون القبائل اليهم وضد آل عائض، ثم عينوا محمد بن حسن النعمي ، وعندما عظم خطرهم ارسل اليهم الامير محمد وفدا برئاسة اخيه سعد بن عائض وكان معه مائتا جندي ، وصل سعد الى قرية (الشعبين) وبدأ يفاوض الثائرين ويدعوهم الى الطاعة ، ورتب الجند في بعض الجهات الى ان بعث بثمانين نفرا الى جبل (القلة) ومثلهم الى (القارية) على حين كان العصاة قد تمركزوا في وادي (الصليل) وتحصن بعضهم في قصر ابن مشاري • فأرسل اليهم سعد بن عائض وفدا من العلماء مؤلفا من الشيخ (احمد الحفظي بن عبد الخالق) والشيخ (احمد بن هادي بن عمر) و(علي بن هادي) ولكن هذا ما زادهم الا عتوا ونفورا ، والتحق بهم قبيلة (المنجحة) و (ولد اسلم) واهل (قنا) وتعاهد الجميع على معاداة ابن عائض ، وعند هذا الخطر المحدق بدأ الامير محمد يرسل النجدات يوميا الى اخيه سعد ، ولما تكاملت القوة وحشد الطرفان كل امكاناتهم ، عرض سعد بن عائض الصلح اكثر من مرة ، ولكن في كل مرة كان يرفضه العصاة، وعندها نزل الامير محمد بقوة الى قرية (الشعبين) وارسل ايضا وفدا للمناصحة برئاسة (لاحق الزيداني ابو سراح) ومعه عشرة رجال من كبار رجال عسير ، ولكن العصاة طردوا الوفد فما كان من الامير محمد الا قاتلهم واستولى على قرية (الظهرة) التي يتمركزون فيها ، ثم استولى على جبال (قو) وبقي محمد بن النعمي في شرذمة قليلة من رجاله يتحصنون في قصر (مشاري) فحاصرهم ابن عائض عدة ايام ثم استطاع دخول القصر بعد قتال عنيف وقد قتل اناس كثيرون من رجال ألمع ومحمد بن حسن النعمي ، وبعدها وفد رؤساء رجال ألمع على الامير محمد بن عائض واعلنوا خضوعهم واعطوا العهود والمواثيق على ذلك • وبعدها عادت الحملة الى (أبها) •

وفي عام ١٢٨٦ هـ شرع الامير محمد بالقيام باصلاحات في بلاده، وعين اخاه (سعيد بن عائض) على بلاد (غامد وزهران) كما عين (علي

بن محمد اليزيدي) على قبائل رجال ألمع ، وعين (لاحق بن احمد ابو سراح) على قضاء (محايل) وتهامة الشامية ، و (لاحق بن مسفر) على قضاء ابي عريش و (علي بن احمد بن ضبعان) اميرا على (بيشة) وبمعرفته احيى اراض زراعية باسم محمد بن عائض في الموقع المسمى (القاع) بجوار القصور الواقعة في اعلى وادي بيشة من الجهة الغربية ، وحفر في تلك الاراضي ما يقرب من خمس واربعين بئرا ، ولا تزال آثار تلك البلاد وانقاض القصر قائمة حتى الآن .

ارسل الامير محمد بن عائض في هذه السنة وفدا برئاسة (لاحق بن مسفر) الى الاتراك والشريف زيد بن حسين بن حيدر الموجودين في (صبيا) للمفاوضة معهم واستطلاع اخبار تلك الجهات ، وقد رجع الوفد بدون نتيجة .

رأى محمد بن عائض أن الامر لن يستقيم له ما بقي الاتراك ومن يساعدهم في تهامة لذا فقد قرر اخراجهم من المناطق التي ينزلون بها وجمع جنودا لذلك من (عسير) و (قحطان) و (شهران) و (بنو شهر) و (غامد) و (زهران) ونزل بهم الى تهامة (صبيا) و (جيزان) ؛ وعندما وصل الى (ابو عريش) بدأ في المفاوضات مع الاتراك والشريف زيد الحيدري في (صبيا) وفي هذه المدة تكون حشوده قد تكاملت ووصلت الجند القادمة من مناطق بعيدة . وقد أثمرت المفاوضات بخروج الاتراك من قلعة (صبيا) آمنين ومعهم سلاحهم ومعداتهم وسافروا من (قوز الجعافرة) بالسفن التجارية الى (الحديدة) . وتقدم الامير محمد ابن عائض بعد ذلك بمن معه من جند نحو (الحديدة) لاخراج الاتراك منها ومن الموانيء التهامية الاخرى الا أن الجنود العسيرية قد شعروا بالقوة والنصر فبدأوا يبطشون بالاهالي على غير رضا من الامير . وصلت القوات العسيرية الى الحديدة، وأحاطت بها من كل جانب، ودارت

رحى الحرب بين الطرفين ، وفي ليلـة الخميس الموافـق ١٣ رمضان من عام ١٢٨٧ هـ هاجمت القوات العسيرية (الحديدة) ، وتسلق الجند على الجدران المتصلة بالسور ووضعوا على حيطانـه السلالم ، والمدافعـون يرمونهم بالرصاص والمدافع ، واستولى المهاجمون على جزء من الحصون وسط المدينة الا القوة التي في داخلها قد جعلت العسيريين يتقهقرون الى الوراء ولجأ قسم منهم الى الجـانب الشرقي • رأى الامير محمد ما حلّ بجنده ففتح باب المفاوضة خوفا من شر الهزيمـة • فأرسل الى الاتراك مندوبا عنه هو (لاحق بن احمد ابو سراح) وبعد المفاوضة تم وضع لمدة سنة كاملة وبعد تستأنف المفاوضات • وبذا أنقذ أمير عسير جنده من خطر الهزيمة أولا ثم من مرض الطاعون الذي آصابهم ، وانتقل بهم من الحديدة الى الموقع المسمى (الجبانة) ، وبعد شهر عادوا الى (أبها) فوصلوا اليها بتاريخ ٢٠ شوال ١٢٨٧ هـ •

قررت الدولة العثمانية غزو بلاد عسير على نطـاق واسع فأرسلت عدة حملات سارت الاولى من صنعاء بقيادة احمد بك ، وانطلقت الثانية من جدة بامرة احمد مختار باشا ومحمد رديف باشا واتجهت الثالثة من الطائف برئاسة عاطف بك ومعه الشريف عبد الله بن محمد بن عون وقد أخذ الشريف في حملته جنود من قبائل (حرب) و (عتيبة) وعربان بادية الحجـاز وخطط ان يستولي في طريقـه على (تربة) و (بيشة) وتلك الجهات ثم ينطلق الى بلاد شهران وقحطان بعد أن يستولي على عربـان (تثليث) • أما عاطف باشا فقد سلك طريق السراة في اتجاه خطط مسيره من الطائف الى بلاد غامد وزهران ؛ وفي هذه الاثناء تحرك محمد رديف باشا واحمد مختار باشا من جدة الى القنفذة فلما وصلوا اليها تمركز فيها محمد رديف باشا في الوقت الذي تابـع احمد مختار باشا طريقـه الى (جيزان) ، وتصدت قوات رجال ألمع بقيـادة ناصر بن عائض وأخيـه

سعد بن عائض • وسارت القوة من صنعاء بامرة احمد بك واستولت على (المخا) و (زبيد) وعندها أرسل الامير محمد قوة لتعزيز قواته المرابطة في تلك الجهات برئاسة (حامد) و (محمد بن مفرح) و (صالح الفقيه) وقد استطاعت القوات العسيرية صد هجمات قوات صنعاء واعادتها الى حيث خرجت • كما أرسل الامير محمد جندا دعما لقواته المرابطة في بلاد غامد وزهران بامرة أخيه سعيد بن عائض • وما قوات الشريف عبدالله ابن محمد بن عون المتجهة الى (بيشة) و (تبالة) فتصدت لها القوات العسيرية المرابطة في بيشة وتبالة بقيادة احمد بن ضبعان الزيداني وسالم ابن محمد بن مصلح الخثعمي كما ساندتها قبائل قحطان تثليث برئاسة زيد بن شفلوت ومانع بن كدم ، كما انضمت اليها بعض قبائل شهران وناهس بقيادة حسين بن مشيط وآل فاهدة واستطاعت قوات محمد بن عائض مقاومة الحملة التركية والانتصار عليها وأخذ معداتها وأسلحتها وملاحقتها حتى عاد المتقهقرون الى الطائف • أما الموانىء البحرية فقد اشتدت حولها المعارك الدامية واستطاع العسيريون أن يهزموا الاتراك وأن يجعلوهم يلتجئون الى السفن في البحر والى جزيرة فرسان في الوقت الذي أخذوا كثيرا من أسلحتهم • ووردت قوات اضافية نجدة لقوات ابن عائض المرابطة في موانىء القنفذة وجيزان وكانت أكثر هذه القوات من بلاد غامد وزهران ، وقد انتصرت قوات ابن عائض في القنفذة على قوات محمد رديف باشا التي لاذت بالفرار الى ميناء (جيزان) ، ولكن قتل في المعركة قائد القوات العسيرية علي بن طامي بن شعيب ، أما قوات غامد وزهران فكانت بامرة (ابن عقالة) و (ابن بنحروش) وقد خسرت هذه القوات سفينتين غرقتا في البحر مع الغزاة التي تقلهما • كما وصلت سفن داعمة لقوات ابن عائض من جزر (دهلك) و (مصوع) و (زيلع) تحمل غزاة بقيادة (حسن بن موسى بن حبيش) شيخ تلك الجزر وكان في طاعة آل عائض ، وقد انضمت هذه السفن الى غزاة غامد وزهران

المتوجهين من القنفذة الى ميناء (البرك) لمقاومة الترك عند دخولهم (الشقيق) و (جيزان) كما أن القوات العسيرية المرابطة في جيزان بامرة احمد بن عائض مع ما جاءها من نجدة من غزاة (يام) و (قحطان) بقيادة عبد الله بن عائض أن تدمرأغلب السفن التركية وأن تستولي على ثمان منها ٠

وفي عام ١٢٨٨ هـ وصل الخبر الى السلطان عبد العزيز بهزائم الترك المتلاحقة في عسير ، فأرسل قوة كبيرة بامرة الفريق محمد رديف باشا واحمد مختار باشا ، وجهزها تجهيزا كاملا ، فسارت حتى وصلت الى ميناء القنفذة ، ومنها انتقلت الى (حلي بن يعقوب) فجأة فاستقبلها شيخ تلك القبائل (عمر بن عبد الله الكناني) وأعطاها السمع والطاعة ، وتوجه دليلا لها الى أن وصلت الى (محايل) ، وأخبرها بكل أمر يسهّل لها طريق التقدم الى سراة عسير ٠ ولما وصل الخبر الى الامير محمد بن عائض جمع جنده وخرج بهم الى عقبة (شعار) وأقام فيها لانها أصعب العقبات وأضيقها لصعود القوات والدواب ، وأمر بحشد الجنود الا أن القبائل قد أصابها الكسل لما لحق بها من قتل وموت اثناء حصار (الحديدة) وانتشار مرض الطاعون آنذاك ٠ ثم أمر علي بن محمد اليزيدي ومعه جنود رجال ألمع أن ينتقل بهم الى حدود بلاد رجال ألمع الشمالية بأسفل وادي (حلي) مما يلي حدود (محايل) ليرابط بهم هناك قرب معسكر الاتراك ٠ تردد الاتراك في تقدمهم الا أن عمر الكناني دليلهم في المنطقة قد أعلمهم بواقع رجال ألمع وما بينهم وبين ابن عائض من احن منذ ثورة النعمي ٠٠٠

قوي عزم الاتراك وواصلوا السير عن طريق (الشعبين) ، وانهزم رجال ألمع دون مقاومة ٠ ووصل الترك الى عقبة (دالج) ومنها الى (الملحة) فقاومتهم القوة المرابطة هناك بامرة (ابن محمد المغيدي) رغم

قلة جنده • ثم وصل الترك الى جبل (قو) ثم الى وادي (العوص) بعد مناوشات ومعارك في عدة مواقع قتــل خلالهــا من الاتراك ما يقرب من خمسين رجلا ، واخيرا استقر الترك في بلاد (ربيعة ورفيدة) ، وكل هذا وأمير عسير لا يعرف شيئا عن تقدم الاتراك ووضع رجال ألمع فلم يشعر الا والهجوم قد بدأ عليه من الخلف فلم ير بدا من التراجع والانسحــاب الى جبل (تهلل) ، وبدأت المعارك هناك بين الطرفين وكانت سجــالا في البداية ثم انتصر الترك بما يملكون من مدافع ثقيلة ، وتقهقر ابن عائض الى (السقا) وقرر الدفاع فيها حيث الموقــع منيع والقصور حصينــة • وحاصرته القوات التركية حصارا قويا ، وتأخرت عليه قوات القبــائل ، وأنهكه رمي المدفعية الثقيلة ثم انفجــرت ذخــائره الموجــودة في قصر (مسمار) مع ما فيه من الجند الذين يزيــد عددهم على الثمانين نفرا • وبدأت ترجح كفة الاتراك على الرغم ممــا قتل منهم ، واخيرا هاجمــوا (السقا) ، واستولوا عليها ، وتحصنــوا في قصور ابن عائض المسمــاة (زهوان) و (شهران) وأخذوا كل ما فيها ، كما تحصنوا بجبال الطور المسماة (طور ابن مرعي) •

انسحب الامير محمد بن عائض بمن بقي معه من الجند القليل الى الغرب حيث بلدة (الحفير) ، واستمر القتال بين الطرفين مدة اسبوع كامل نزل بعدها ابن عائض الى بلدة (ريدة) مركز حكمه وتقع في سفوح جبل الطور الغربية ، وهي في مكان حصين تحيط بها الجبال ، وقصورها شامخة منيعة ، وفيها من الاسلحة القوية والمعدات الحربيــة والاموال الكثــيرة والمؤن الوفيرة الشيء الكثير ، وعمل على مضائق الطرقات ما يلزم لحمايتها ، وألزم اخوته كل في الدفاع عن جهة معينة من (ريدة) • اما الفريق محمد رديف باشا فقد اقام في (السقا) وفي جهة (الحفير) في حالة الدفاع ، وان كانت المناوشات لا تنقطع بين الفريقين •

وصل خبر توغل العثمانيين في بلاد عسير الى شريف مكة محمد بن عون فبعث الى الامير محمد بن عائض ينصحه بان يتوسط له بالصلح مع الدولة العثمانية على ان يسلم البلاد لها وهي تستبقي له املاكه وخيولـه وامواله وحصونه وكل ما في يده ، كما تدفـع الدولة له ولاهل بيتـه مخصصات شهرية ترتب لهم ، وتكافىء الموظفين ، وتستخدم في الاعمـال كل من هو اهل للقيام بخدمة الدولة • رأى ابن عائض حسن هذه الشروط بل خدع بها فوافق عليها وابلغ ذلك الشريف فرفعت الى السلطان العثماني عبد العزيز ، ولم يصل الامر الى هذا الحد الا والقوات العثمانية تحاصر بلدة (ريدة) ، وفي هذه الاثناء وصل الى (ريدة) مندوب الشريف وبيده بلاغ من السلطان العثماني (فرمان) وقد جاء فيه « انك آمن بأمان الله ورسوله ، واني قد قبلت جميع مطاليبك التي عرضت علينا بواسطةالشريف محمد بن عون، وما عليك الا تسليم البلاد لرديف باشا ، واموالك وخيولك وجميع املاكك مع الحصون لا تمسها عساكرنا بسوء الا اذا لم تتبع امرنا هذا السلطاني » • فلما اطلع ابن عائض على منطوق الفرمان السلطاني قبل واطمأن ، الا ان عزيمته قد قويت على الدفاع وطلب النجدات من قبائله القريبة مثل شهران حيث وصل خطاب مؤثر من محمد بن عائض لشيخها مشيط بن سالم فأجاب بالايجاب ، اذ ظهر لابن عائض ان رديف باشـا متعصب في رأيه متشدد في أمر الحصار وهو لا يزال في (السقا) • واخذت المفاوضات بين الطرفين ولكن دون نتيجة ، ثم ان الفريق محمد رديف باشا اكد في النهاية على الامير محمد بن عائض ان يبعث له مـن يثق به لاجراء عقد المصالحة وتلك خدعة من الفريق عنـدما علم ان (ريدة) حصينـة ودخولها عنوة امر صعب كما انه قد التف حول ابن عائض اكثر من الف مقاتل من رجال عسير المشهورين •

وافق الامير محمد على طلب الفريق محمد رديف وارسل له اخـاه

(سعيد بن عائض) و (لاحق بن احمد ابو سراح) ومعهما رجال من كبار عسير . وما ان وصلوا الى (السقا) حتى أمر الفريق بسجن الوفد القادم اليه . وبعد المراجعات اطلق سراح المسجونين عدا سعيد بن عائض ، وبدأ الغدر واضحا . ولما اعيت الحيل رديف باشا جزم على فتح (ريدة) عنوة من جهتي السراة وتهامة ؛ لذا جهز حملة كبيرة بقيادة احمد مختار باشا توجهت الى (محايل) ومنها الى (القنفذة) حيث اظهر للناس انه عائد الى (استانبول) فلما ركب البحر اتجه نحو الجنوب ونزل في ميناء (الشقيق) ومن هناك توجه الى (درب بني شعبة) حتى طلع الى (ريدة) من اسفل واديها المسمى (مرابة) على غفلة من القبائل وكل هذا بارشاد عبدالله الكناني . علم الامير محمد بن عائض ان جنود الاتراك قد اصبحوا على مقربة من (ريدة) من الناحية الغربية . واشتد القتال والحصار على (ريدة) من جهتيها الغربية والشرقية ، وانقطعت عن ابن عائض كل صلة : ودام الحصار مدة شهرين كاملين فوقع اليأس والوهن في قلوب المرابطين في الحصون ؛ فاستسلم بعض الذين في حصون (آل مفرح) و (شهران) [1] بعد اعطائهم الامان واخلوا القصرين بدون قيد او شرط ؛ واخذت عساكر الاتراك تزحف على بقية القصور ؛ وتشدد الحصار عليها الامر الذي جعل المدافعين يستسلمون ويطلبون الامان غير مبالين بأوامر ابن عائض وتأكيداته على الحراسة والدفاع .

رأى الامير محمد بن عائض ان اكثر الحصون قد سقطت ، وظهرت الخيانة ؛ واصبحت الهزيمة قريبة الوقوع ، الامر الذي جعله يطلب فتح باب المفاوضة ثانية مع احمد مختار باشا حيث لم يثق باقوال محمد رديف

---

(١) اعتاد الامير محمد بن عائض ان يسمي كل قصر يبنيه في (ريدة) باسم قبيلة من قبائل عسير ، او باسم أسرة كبيرة معروفة .

باشا . وقد كتب لاحمد مختار باشا (انني اطلب المصالحة والامان . وانني منقاد للسمع والطاعة للسلطان عبد العزيز العثماني بموجب الفرمان المرسل الينا منه وبواسطة شريف مكة محمد بن عون) فقبل احمد مختار باشا واعطى ابن عائض الامان التام . ووعده بتنفيذ الشروط المدونة بالفرمان . ولم يطلع الفريق محمد رديف باشا على ما جرى . ووثق ابن عائض بالله ثم بالامان . وسلم نفسه الى احمد مختار قبل وصول محمد رديف او اخباره بذلك فاغتاظ من هذه الاجراءات بصفته القائد العام لعساكر الاتراك المحاربة . فنزل في (السقا) الى جانب قصور (ريدة) وامر باستلامها والاستيلاء عليها ، ولم يلتفت للامان المعطى لاهلها من قبل احمد مختار باشا . ونهب ما فيها من الاموال والذخائر ، وشرع في استلام بقية القلاع والقصور خلال ثلاثة ايام ، واظهر للناس ان امان احمد مختار باشا لا يعتمد عليه ، وبعد ذلك اعلن الامان العام لجنود ابن عائض المرابطين في القصور على انفسهم واموالهم . وانتهى استيلاء الترك على جميع القصور والقلاع وما فيها . اما المرابطون من جنود عسير في (ريدة) ويزيد عددهم على ستمائة نفر فقد أصر رديف باشا على سجنهم داخل مسجد (ريدة)، واخذ أسلحتهم ، وامر بالمحافظة عليهم ، وقرر اسرهم وارسالهم الى استانبول . وسجن ايضا من كبار رجال عسير عدد كثير منهم : (سعيد بن عائض) و (علي بن محي) و (محمد بن لاحق) و (حسن بن عبدالله) و (علي ابن هادي بن مسلمي) و (سعيد بن محمد) و (محمد بن علي بن مجثل) . كما استولى رديف باشا على كل ما يملكه محمد بن عائض من ذخيرة وخزائن واموال . وبعد ان تم الاستيلاء على كل شيء بتاريخ ١٠ محرم ١٢٨٩ هـ . وبعد اطلاع رديف باشا على الامان المعطى لابن عائض ومن معه من قبل السلطان اولا والامان المعطى من احمد مختار باشا ثانيا لم يعتمد ذلك وقرر ان يعدم ابن عائض وعدة اشخاص معه . وذات ليلة بين

المغرب والعشاء وابن عائض واثق بالامان اذ أمر الفريق محمد رديف باشا ان يقتل ابن عائض ومن معه ، وان ينقل المسجونـون في (ريدة) الـى استانبول عن طريق ميناء الشقيق ، والا يسمع لاحد منهم شكاية . ولما وصلوا الى استانبول فرقوا في الخدمات العسكرية ، وبلغت قوة آل عائض اوجها في ايام الامير محمد بن عائض .



الفصل الثالث
الحكم العثماني في عسير

انتهت الحرب عام ١٢٨٩ هـ بين العساكر التركية والقوات العسيرية، وتقلصت حكومة آل عائض في مقاطعة عسير جميعها ، وتحول نظام الحكم فيها الى عادات قبلية ، اللهم الا ما كان من المراكز التي تقيم فيهـا قوات تركية فان السلطات العثمانية هي التي تقوم فيها بادارة الامور المحليـة مستعينة على توطيد سلطانها بنفوذ بقية آل عائض بحيث كانت تعين احـد امراء هذه الاسرة كمعاون للمتصرفية ليساعدها على تنفيذ الاوامر الخاصة بالقبائل والعربان واحيانا بصرف رواتب ومخصصات لبعض رؤساء واعيان القبائل رغبة في استمالة قلوبهم واستتباب الامن في بعض النواحي ؛ ومع كل هذا فان رضوخ أغلب القبائل لطاعة الدولة العثمانية لم يكن الا بسبب الاسرى الموجودين في (استانبول) لان المشير محمد رديف باشا جمـع قبل مغادرته عسير عددا من اعيان ووجهاء عسير ؛ وسفرهم الى استانبول كدفعة ثانية منهم الامير سعيد بن عائض والشيخ العلامة احمد بن عبـد الخالق الحفظي ؛ وفاطمة بنت عائض بن مرعي التي لديهـا مصحف كتب بخط يدها ، ويدل على مدى عنايتها واهلها بتعاليم الدين ؛ ويوجد هـذا

المصحف عند الامير عبدالله • ومن هؤلاء الاسرى لاحق بن احمد ابو سراح وفايز بن غرم العسبلي وعلي بن ابراهيم بن معدي من رجال ألمع وناصر بن معتق بن محيا الاحمري وعلي بن ظافر •

وبعد سيطرة العثمانيين على المنطقة وزعوا عساكرهم الموجودين هناك مرابطين في مراكز القرى الآتية : أبها ــ السقا ــ محايل ــ الشعبين ــ القنفذة ــ الشقيق ــ صبيا • واصبحت مقاطعة عسير متصرفية خاضعة للحكم العثماني ، وتقرر ان يكون المركز الرئيسي للحكومة مدينة (أبها) وتتبعها ستة مراكز وهي :

١ ــ نواحي القنفذة ومركزها (القنفذة) •
٢ ــ محايل وبارق وقنا ومركزها (محايل) •
٣ ــ قبائل رجال ألمع وقاعدتها (الشعبين) •
٤ ــ قبائل رجال الحجر ومقرها (النماص) •
٥ ــ قبائل غامد وزهران ومركزها (رغدان) •
٦ ــ جيزان وصبيا وابو عريش وحاضرتها (صبيا) •

ثم قررت الدولة ان تكون المنطقة (سنجق مستقل) بدلا من متصرفية • وعينت احمد فيضي حاكما على سنجق عسير ، وكانت ادارته حسنة اذ استمال بحسن سياسته قلوب القبائل ، وساد الهدوء والاطمئنان المنطقة كاملة • ولم يمض كبير وقت حتى اصدرت الحكومة العثمانية قرارا بنقله الى صنعاء لاخماد الثورات الداخلية هناك ، وبذهابه اختل نظام الامن في عسير ، وهذا ما اجبر الدولة على اعادته مرة ثانية • واستمر الحكم العثماني سبع واربعين سنة في عسير تولى الحكم خلالها عدد من الحكام ، وكان النظام يقضي بأن لا تزيد اقامة كل منهم على سنتين وعند الاضطرار على اربع فقط • والولاة هم :

١ ــ احمد فيضي باشا .

٢ ــ عثمان باشا .

٣ ــ عمر حكيم باشا .

٤ ــ محمد امين باشا .

٥ ــ عمر شولاق باشا .

٦ ــ سليمان باشا المكنى (ابو غنم) .

٧ ــ راشد بك (بالوكالة) .

٨ ــ حسين توفيق بك .

٩ ــ احمد امين بك . وكان المتصرف اسماعيل حقي .

١٠ ــ رفعت بك .

١١ ــ يوسف بك .

١٢ ــ اسماعيل حقي بك . وفي عهده حوصرت أبها من قبل الامير علي بن محمد بن عائض ومعه رجال قبائل مقاطعة عسير كلها .

١٣ ــ تحسين باشا .

١٤ ــ كاظم باشا . وعزل لاختلافه مع الجنود النظاميين الامر الذي ادى الى عصيانهم وخروجهم من الخدمة .

١٥ ــ سليمان شفيق كمال باشا ؛ ونقم عليه آل عايض والادريسي ، وحوصر في أبها عام ١٣٢٧ هـ .

١٦ ــ علي حيدر بك (بالوكالة) ومعاون المتصرف حسن آل عايض .

١٧ ــ محي الدين باشا . وفي عهده انسحب العثمانيون من عسير .



الفصل الرابع

إمـارة الإدريسي

تعود امارة الادريسي الى السيد محمد بن علي بن احمد الادريسي حيث قام بتأسيسها عام ١٣٢٧ هـ ، ويرجع في اصله الى المغرب اذ كـان جده (أحمد) من المغرب وهاجر منها الى الحجاز ، فأقام بمكة المكرمـة مدة ، ثم توجه الى تهامة عسير لزيارة بعض تلامذته ومريديه ، واستقر عام ١٢٤٦ هـ في (صبيا) بجوار الشريف حسين بن حيدر من اشراف ابـي عريش ، واقبل الناس نحوه يأخذون العلم عنه وعمل هو على نشر طريقته الادريسية • وذلك بعد ان سمح له الامير علي بن مجثل بالاقامة في صبيا وخصص له مرتبا ، ثم توفي في محل اقامته عام ١٢٥٣ هـ • ولم يكن عـلي مثل والـده ، وكانت امارة السيد محمـد الادريسي على اساس التراث الديني والاجتماعي الذي خلقه له جده ، ثم ساعدته الظروف السياسيـة على بسط نفوذه اذ كانت الدولة العثمانية على حالة من الضعف والارتباك السياسي •

ولد محمد بن علي الادريسي عام ١٢٩٣ هـ في صبيا ونشأ فيها وظل

حتى عام ١٣١٣ حيث توجه الى مكة المكرمة ، ثم غادرها الى القاهرة . والتحق بالازهر ، وكان على غاية من الذكاء والنباهة ، وبعد ان انتهى من تحصيله العلمي انتقل الى « واحة الكفرة » مركز الدعوة السنوسية التي يتزعمها الادارسة ، ثم انصرف عنها الى (دنقلة) حيث أخواله وبنو عمه هناك في السودان . وعلى الرغم من هذا الانتقال الا ان قلبه لا يزال متعلقا بمسقط رأسه (صبيا) ويحن اليها دائما . وفي اواخر عهد السلطان عبد الحميد اتصل الادريسي بدار المفوضية الايطالية بمصر بواسطة محمد علي بك .

استولى الادريسي على قضاء (صبيا) ونواحيها بنشاطه الديني من جهة وبما يبذله من الاموال وما يعطيه من الاسلحة لرجال القبائل من جهة اخرى . فلما وصل سليمان شفيق كمال باشا حاكما الى عسير بدأ يفاوض الادريسي ، ولكنه في الوقت نفسه يرفع التقارير الى السلطان عبد الحميد يشرح فيها ما وصل اليه الادريسي من النفوذ والسلطة والخطر على الدولة ويطلب المبادرة بسرعة القضاء عليه قبل تفاقم أمره .

تحققت الدولة العثمانية بانقياد القبائل للادريسي وانتشار دعوته الدينية ، ورأت ايقافه عند حد فارسلت اليه وفدا مع جيش كبير بقيادة سعيد باشا حاكم ولاية الحج ، ولكن الادريسي استطاع بدهائه وحنكته ان يخدع الوفد تماما ، اذ افهمه انه لم يقم هذا المقام الا خدمة للدولة ، وانه لم يرد سوى انهاء الفوضى التي خيمت على البلاد من جراء ما لحقها من اهمال وفساد في الادارة ريثما ترسل الدولة من يقوم بهذا الامر الذي ليس هو من اختصاصه ، فما كان من القائد سعيد باشا الا ان نشر اعلانا للقبائل ينبىء باقامة الادريسي مفوضا عاما بالامور الهامة الامر الذي زاد الادريسي نفوذا وقوة على نشر دعوته الدينية :

حصل توتر في الجو الدولي اذ بدأت تظهر بوادر الحرب بين دول

الاتحاد ودول الحلفاء ، واضطرت تركيا الى التغافل عما يجري في المنطقة من تصرفات الادريسي واخيرا اصدرت امرها بتعيينه قائمقام لقضاء (صبيا) و (جيزان) و (ابو عريش) بينما يصفو لها الجو وتنتهي من الامور الخارجية •

اظهر الأدريسي العدوان على تركيا وذلك بايعاز من الحكومة الايطالية ، فأرسل من قبله قوادا لاحتلال المنطقة ونشر دعوته الدينية في مقاطعة تهامة ، كما وجه في الوقت نفسه السيد مصطفى النعمي الى قبائل رجال ألمع وعسير السراة وذلك بعد ان اتفق مع الامير حسن آل عايض ورؤساء رجال ألمع على محاربة سليمان باشا في أبها ، وبذل لهم من الاموال والأسلحة الايطالية ما اغراهم على الثورة والقيام معه ضد الدولة •

التقت القبائل جميعها في ذي العقدة عام ١٣٢٨ هـ لمحاربة (أبها) ، وشددت الحصار عليها لمدة تسعة اشهر رغبة في ابعاد الترك وطمعا في الحصول على موجودات الذخائر والاموال ، ولكنهم لم يحصلوا الا على السيطرة على قلعة (شعار) اما سليمان باشا فقد دافع عن (أبها) دفاعا قل من نظيره على الرغم من ان القبائل قد زعمت ان أبها قد استسلمت للامير حسن بن عائض والسيد مصطفى النعمي ، وان المدفع الذي ارسل من جيزان هو الذي اجبر الترك على الاستسلام وبهذا الادعاء استطاعوا دخول قلعة (شعار) ولم يحدث في الواقع شيء من هذا •

وصلت نجدات عسكرية للمرابطين في أبها وكانت بقيادة امير مكة الشريف حسين بن علي ومعه عربان من الحجاز وعتيبة واستطاع الشريف ان يفك الحصار عن مدينة (أبها) ووقعت معارك عنيفة في جهة (بالاحمر) وعلى حدود (القنفذة) وغيرها •

وعندما بلغ الأدريسي خبر وصول قوات الشريف الى ابها وفك

الحصار عنها ورغبة الشريف التوجه الى صبيا هرب الادريسي منها واتجه الى جبال (فيفا) . الا ان الشريف لم يتوجه الى صبيا حيث وقـع خلاف بينه وبين حاكم عسير سليمان باشا الامر الذي جعل الشريف يعـود الى مكة عن طريق بيشة غير آبه بأوامر الحكومة التركية او برأي حاكم عسير.

عاد الادريسي الى صبيا من جبال (فيفا) عندما علم اشتراك تركيـا بالحرب العالمية الاولى وانشغالها عنه ، واستولى على قبائل تهامة، واخذت ايطاليا تمده بالاسلحة والذخائر ، وانقطعت العلاقة فجأة بـين الادريسي وايطاليا ، وقامت مكانها صداقة بين الادريسي وانكلترة بمعاهدة رسمية عام ١٣٣٤ هـ جددت ايضا عام ١٣٣٦ هـ ، واعترفت له انكلتره بموجبها بالسيادة على تهامة من ميناء (اللحية) جنوبا الى (القنفذة) شمـالا ، وتعهدت له بحمايته من اي عدوان خارجي ، كما تعهد هو بعدم عقـد اي معاهدة سياسية او تجارية مع دولة اخرى دون علمها .

وبعد انسحاب عساكر الاتراك من مقاطعـة عسير السراة . وقـام بادارتها حسن بن عائض في الفترة التي قوي سلطان الادريسي فيها ممـا اوجب وقوع التحالف بينه وبين ابن عائض الذي هزم جنود الادريسي في عدة مواقع لتوغله في السراة والحقيقة ان امر الادريسي كان سائرا حسب التقارير والظروف ــ ولاخذ ثأره من ابن عائض طلب من الملك عبد العزيز الاستيلاء على ابن عائض وتأديبه . وفعلا وقع الاستيلاء على عسير السراة بتاريخ ١٥ ذي القعدة ١٣٣٨ واوفد الملك عبد العزيز وفدا من أبها برئاسة الشيخ عبدالله بن راشد الى السيد محمد الادريسي لتحديد الحدود وعقد معاهدة صداقة . فوفق الوفد في مهمته وسجل ذلك الاتفاق في المعاهـدة التي ننشر نصوصها لاول مرة فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله :

يعلم به الناظر اليه والواقف عليه بان الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل حفظه الله لما امرنا بالقدوم على الامام محمد بن علي بن ادريس لعقد الاخوة الاسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس الى ذلك في التعاون على البر والتقوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وان تكون اليد واحدة على اعداء الدين • فلما قدمنا على الامام المذكور سره ذلك واحبه حرصا على الخير والتعاون عليه ، فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الاخوة بين الامامين المذكورين على مثل ما ذكر اعلاه ، فحيث كان في مملكة الامام محمد بن علي من القبائل والبلدان في اليمن ما هو في ملك آل سعود سابقا تركه الامام عبد العزيز له ؛ لاجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته. فعلى هذا لا بد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منها بما اوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية • فصار الذي للامام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووادعة ومن تبعهم من بني جماعة وسحار وشريف وقحطان ورفيدة وعبيدة منهم «بنو بشر» و «بنو طاق» وشهران و «بنو شهر» وغامد وعسير وجميع قضاء محايل منهم «بنو ثوعة» واهل بارق وترقش واهل الريش وغيرهم من تبعهم من قبائل «حلي» المذكورين في ولاية الامام عبد العزيز — وصار للامام محمد بن علي الادريسي تهامه سوى ما ذكر وغير ذلك مما هو تحت يده وله رجال ألمع من عسير خاصة لا يعارض كل منهما من تحت يد الآخر وما ذكر لعبد العزيز بن عبدالرحمن القبائل في السراة وتهامه ويام وغيرهم ؛ فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل وما عليها في ذلك التناصح والتعاون وبذل الجهد فيما اوجب الله عليهما مما يلزم في دين الاسلام فيمن تحت ايديهما • هذا ما صار وحرر وقرر منا يا نواب الامام حيث كنا قائمين مقامه ومن الامام محمد بن علي الادريسي بحضوره وامضائه صدر العهد والميثاق منا ومنه . ومن نكث فانما ينكث على نفسه

والله ولي التوفيـق وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسـلم
١٦ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ الختـم •

نائب الامام

محمد بن علي الادريسي ، فيصل بن مبارك ، ناصر بن جاراللـه ، عبدالله بن محمد بن راشد •

وفي شهر شعبان عام ١٣٤١ هـ توفي السيد محمد الادريسي ، فقـام بالامر بعده نجله الاكبر السيـد علي الا ان امارته كانت امـارة ضعف وانحطاط ، اذ اضطر الى التخلي عن الحديدة وما جاورها من البلاد للامام يحي ، واكتفى بصبيا وجيزان ، ثم لم يلبث لعدم كفاءته • حتى خلعه اهل البلاد وامروا عليهم عمه السيد الحسن ، ثم رفعوا بذلك لجلالة الملك عبد العزيز آل السعود ، فأصدر امره بارسال مندوبين من ابها تصحبهم سرية من الجنود لتسكين الاحـوال بجيزان وللنظر في الخلاف الواقـع بـين الادارسة وايقاف جنود الامام يحي الزاحفة الى مقاطعة تهامة عسير عنـد حدها ، وبوصول القوة الى جيزان [١] اوقفوا حالا جنود الامام يحي ، فوقفوا في وادي حبل جنوب سامطة ومن ذلك التاريخ ، اصبـح وادي حبل الحد الفاصل بين الحكومة اليمانية والحكومة السعوديـة • وامـا السيد علي فقد اضطر بعد خلعه واسناد الامر الى عمه ــ الى الهرب مـن جيزان والالتجاء الى جلالة الملك عبد العزيز آل السعود ، وذلك بعد فتحه للحجاز • وهو لا يزال حتى الآن في كنفه ورعايته •

امارة السيد حسن الادريسي

قام بالامر السيد الحسن بعد ابن اخيه فأراد ان يقلـد اخاه السيد محمد في ادارته وسياسته وخططه التي كان يرسمها فشرع يفاوض عـدة

(١) المندوبون هم عبد الوهاب ابو ملحة ، وعمر العسكر ، ومحمد بن دليم .

جهات في آن واحد . ففاوض جلالة الملك عبد العزيز آل السعود، لتوثيق عرى الصداقة السابقة بين العائلتين ، وفي الوقت نفسه كان يفاوض فيه الامام يحي . كما فاوض الحكومة الايطالية في الوقت الذي كان يفاوض فيه الانكليز . فأسفرت احدى المفاوضات التي هي الادريسية الانكليزية، على منح الادريسي لشركة انكليزية امتيازا لاستخراج الزيت من جزيرة فرسان التابعة لجيزان ، على شروط قد تجحف بحقوق البلاد والاهالي ، الا ان هذه الاتفاقية لم تنفذ ، اذ صادف آنذاك ان المفاوضة التي كانت جارية بين الادريسي وجلالة الملك عبد العزيز بواسطة مندوب الادريسي ابن عمه السيد ميرغني قد انتهت ، بعقد معاهدة بينهما « بمكة المكرمة » وكان من ضمن شروطها وضع جميع مقاطعة بلاد الادريسي تحت حماية المملكة العربية السعودية . وذلك في عام ١٣٩٥ هـ . فلم تكد تتم هذه المعاهدة حتى اسرع جلالته الى رفض هذا الامتياز الذي لمس فيه الغبن والاجحاف بحقوق البلاد ما لا يتفق والمعقول ثم تمشيا مع شروط المعاهدة ورعاية للادريسي وحقوقه وحرصا على استتباب الامن اسند جلالته ادارة البلاد الى مندوبين وهيئة حاكمة ، تحت رئاسة السيد الادريسي بحيث لا تنفذ الاوامر الا بعد توقيعه :

وفي عام ١٣٤٧ هـ بعث السيد الادريسي وفدا الى بلاط جلالة الملك عبد العزيز بالطائف ، لوضع القواعد الاساسية لادارة البلاد . فاتفق مع جلالة الملك . على جعل الادارة الداخلية وحفظ الامن واعداد الجنود بيد الحكومة المحلية والشؤون الخارجية وما اليها بيد الحكومة السعودية .

ولكن على الرغم مما بذله جلالة الملك للسيد الادريسي من مساعدات مادية ومعنوية، فقد عجزت ــ بعد سنتين ــ الحكومة المحلية عن ادارة الامور وجباية الاموال . فاضطر الادريسي في ١٧ جمادى الاولى عام ١٣٤٩ هـ الى رفع برقية الى جلالة الملك عبد العزيز بما نصه ، « كتب جلالتكم برفقة

العبدلي وصلت وتذاكرنا مع وفدكم وتقرر بموافقتنا ورضانا اسناد ادارة البلاد وماليتها الى عهد جلالتكم » .

وبعد اسناد حكم البلاد الى جلالة الملك عبد العزيز عهد الى مندوبين من الجانبين بوضع التعليمات والترتيبات الاساسية التي تسير عليها مقاطعة عسير ، حسبما تقتضيه الحال في عرف الادارة المحلية . فأصبحت هذه المقاطعة من جملة مقاطعات المملكة العربية السعودية ، وفقا لما سبق اعلانه في ٢١ جمادى الاولى عام ١٣٥١ هـ الموافق ٢٢ ايلول ١٩٣٢ م بتوحيد اجزاء المقاطعات الخاصة بجلالته وجعلها مملكة واحدة باسم « المملكة العربية السعودية » .

انتفاض الحسن الادريسي

لم تمض ايام على اسناد الحكم لجلالة الملك عبد العزيز حتى اغتر الحسن ، بمواعيد بعض المفسدين فنقض العهد ورفع علم الثورة ضد حكومة جلالة الملك ، وذلك بايعاز ومساعدات من خارج البلاد وداخلها ، ولكن جلالة الملك عبد العزيز لم يمهله حتى ارسل اليه عن طريق القنفذة حملة تأديبية تحت قيادة الشيخ محمد السليمان وخالد بك القرقني فاستولت حالا على جيزان . وفي الوقت نفسه ارسل حملة اخرى من أبها تحت قيادة الشيخ عبد الوهاب ابو ملحه مكونة من قبائل عسير وشهران وقحطان ، فوصلت الى صبيا في الوقت الذي كان الادريسي يجمع الجموع للتقدم بها الى جيزان وفجأة استولت على صبيا قبل ان يتمكن الادريسي من اتمام خططه التي كان رسمها .

ثم حصلت بعد ذلك بين جنود جلالة الملك وبعض قبائل تلك الاصقاع مناوشات ومعارك دامية انتهت اخيرا بوصول الجيش المرسل تحت قيادة

الامير خالد بن لؤي . الذي مات في اثناء الطريق ميتة طبيعية [1] وخلفه في القيادة نجله الاكبر سعد بن خالد بن لؤي . واخيرا بوصول سمو الامــير عبد العزيز بن مساعد الى ابي عريش المقر العام للقوات وانضمام القوات الباقية تحت رئاسته تم القضاء النهائي عــلى الثــورة الادريسية في جميع مناطقها . فهرب الادريسي وعائلته الى بعض الحدود اليمنية ولكن ذلــك لم ينفعه اذ تمكن جلالة الملك بعد ذلك من القبض عليه وابن اخيــه عبد الوهاب وارسالهما الى الحجاز اذ بقيا بمكة تحت عطف ورعاية جلالة الملك عبد العزيز .

---

(١) دفن الامير خالد بن لوئي بوادي (بيض) الواقــع بين بيش وبين درب بن شعبة .



الفصل الخامس
خروج الأتراك من عسير

وصلت الاوامر السلطانيــة الــى والي عسير محـــي الدين بــاشا بالانسحاب من المنطقة وتسليم ادارتها الى آل عائض بموجب حدودها عند استيلاء الاتراك عليها ، كما يتم تسليمهم العتاد الحربي كله والقلاع فــي انحاء المنطقة جميعها اضافة الى كافة المنشآت ، وقد تم فعلا ذلك بحضور علية القوم من شيوخ كل من (غامد) و (زهران) وقبائل (بيشة) وقبائل تهامة حتى الليث ، و (خثعم) و (شمران) و (بالقرن) و (بنو عمرو) و (رجال الحجر) و (رجال ألمع) و (قحطان) و (شهران) و(سنحان) و (يام) وبعض شيوخ المخلاف السليماني • وارسل محي الدين بــاشا الى الادريسي يطلب منه حضوره الى (أبها) لحضور التسليم وتوقيــع الوثيقة التي تم بموجبها تسليم ادارة البلاد الى آل عائض الا ان الادريسي لم يحضر •

انتخب آل عائض بعد توقيع الوثيقة الامير حسن بن علي بن محمد ابن عائض اميرا على المنطقة باعتباره اكبرهم سنا ، وبايعه مشايخ القبائل واعيان البلاد ، وقد عرض الامير حسن علي محي الدين باشا التعاقد معه

لمدة خمس سنوات للافادة من خبرته ؛ فشكر الباشا الامير واعتذر بالاوامر السلطانية التي تأمره بالعودة مع الجيش الى تركيا • وقد اسدى محي الدين باشا الى آل عائض بعض النصائح قبل سفره ومنها بقاؤهم ضمن حدود امارتهم المحدودة شمالا بجنوب الطائف والليث وحدود تربه ؛ ومن الجنوب بحدود اليمن ؛ ومن الغرب البحر الاحمر ؛ ومن الشرق اعالي نجد والربع الخالي ، وحثهم على تحصين حدودهم خوفا من تعديات الجوار الذين يطمعون في التوسع داخل عسير ، فالشريف من الشمال ، وابن سعود من الشرق ، وامام صنعاء من اليمن وكذا الادريسي • كما قال لهم الباشا : وان مما يجعل بلادكم في مأمن هو اقامة علاقات مع بريطانيا لمساعدتكم بالسلاح وغيره كما هي الحال بالنسبة لابن سعود •

درس آل عائض نصائح محي الدين باشا ورأوا ان يحولوا دون اعطاء بريطانيا مجالا للتدخل في شؤون بلادهم • فاعاد محي الدين باشا فأشار عليهم بالاتحاد مع ابن سعود فاستحسنوا الفكرة في البداية باعتبار ان في الاتحاد قوة ، وبعد دراسة الموضوع رأوا ان وضع ابن سعود غير واضح بسبب كثرة تجاذب السلطة في نجد ؛ ففضل آل عائض في النهاية الاستقلال في بلادهم والمحافظة على خدودها •

انسحب محي الدين باشا ومعه الجيش عائدين الى تركيا ، وشكل آل عائض مجلسا استشاريا من علية القوم يتولى دراسة اوضاع البلاد ومتطلباتها •

خرج محي الدين باشا في شهر ربيع الاول من عام ١٣٣٦ هـ من أبها متوجها الى ميناء الشقيق عن طريق درب بني شعبة •

الفصل السادس
نهاية إمارة آل عائض

كان الامير حسن بن علي بن محمد بن عائض آخر امير من اسرة آل عائض ، وفي ايامه قامت الحرب العظمى الاولى ، فكان موقفه غداة اعلان الحرب موقف الحائر الذي تشعبت عليه السبل فلا يدري ايها يسلك على الرغم من ان الحكومة التركية قد انعست عليه بتعيينه معاونا لحاكم عسير ، الا ان محي الدين باشا حاكم عسير قد استطاع بحكمته ودهائه ان يهون عليه الامر ويقلل له من اهميته فعندئذ اطمأنت نفسه واتفق مع محي الدين باشا على التكاتف في ادارة البلاد وحمايتها من كل عدوان سواء أكان من قبل الادريسي ام من قبل الشريف الحسين ام من غيرهما ممن تحدثه نفسه بالاعتداء فظل مساعدا له مخلصا للدولة الى تاريخ انسحاب الاتراك من مقاطعة عسير والجهات اليمنية على اثر انتصار الحلفاء في الحرب العظمى .

وبعد انسحاب الاتراك قام الامير حسن بادارة البلاد اذ نظم الامور الادارية والشرعية بصورة مبدئية نظرا لما حدث من عصيان من قبيلة قحطان وغيرها . فقد عين الشيخ محمد بن عبدالله آل خضرة والمقيم

بالقرب من جبل شنوءة رئيسا للقضاء الشرعي ، وجعل معه اعضاء من طلبة العلم وهم : علي الحاج ــ عائض الجهري ــ احمد بن عبدالله بن مسفر بن جعيلان ــ وعبدالله بن مرعي . وجعل كاتبي القضايا الشريف احمد بن موسى ومفرج الزيدي . وعين للوعظ والارشاد كلا من عبد السلام وعبد العزيز بن محمد آل خضرة . ووضع رئيسا للقضاء في قبائل رجال ألمع وقبائل تهامة الشيخ ابراهيم بن زيد العابدين . وجعل دارا للضيافة ، ودارا لبيت المال بمعرفة محمد حسن آل ميش ومحمد السرحاني ، وعين عبدالله بن عمر كاتبا له مع علي حجازي ، وجعل محمد بن مسلط واحمد بن محمد بن هليل مستشارين لخبرتهما في الادارة التركية سابقا، ولجباية الزكاة محمد بن عزيز وعلي بن حسن بن خنضور واخاه عبدالله بن حسن. وافاد من الضباط الاتراك المتأخرين في أبها وعلى رأسهم حمدي بك ، وعين على المدافع الموجودة في قلعة (ذرا) الرئيس عبدالله آغا وحسين أفندي ، كما جعل على قلعة جبل (ابو خيال) مع رأس الجندل الضابط شعيب بن عبد الحميد الدوسري وعلى قلعة جبل (شمسان) الضابط وزير التركي ، وعلى قلعة جبل (الدقل) ابراهيم بن محمد ابو هليل وجنود معه . وجعل بقية الجنود قسمين : احدهما للمدفعية والآخر ضابطة لحفظ الامن والخدمات العامة في مدينة (أبها) نفسها ، واسند قيادة ومسؤولية الجنود كلهم الى ابن عمه محمد بن عبدالرحمن آل عائض ومعه لاحق بن علي اليزيدي والصبيب رمزي بك ، والف مجلسا للشورى يضم رؤساء القبائل وبعض الاعيان ويجتمعون عند اللزوم .

وبعد ان انهى الامير حسن وضع الترتيبات اللازمة في أبها حدث من رؤساء قحطان تأخر في دخول طاعة الامير حسن فجهز لهم غزاة بني مغيد وعلكم وبني مالك من عسير السراة بقيادة محمد بن عبد الرحمن آل عائض وبادروا بالاستيلاء على بلاد آل عامر من بلاد رفيدة بعد معركة دامية

ونهب اموالهم مما جعل بقية قبائل قحطان يدخلون في طاعة ابن عائض ويدفعون الزكاة وضيافة الغزاة عند كل قبيلة ، وعندما وصل الغزاة الى بلاد عبيدة هرب (محمد بن دليم) من قصره الى تهامة آل السريع، وارسل الى محمد بن عبد الرحمن آل عائض وغزاته يطلب منهم عدم دخولهم بلاد شريف . ووعد بحضوره الى الامير حسن بن علي آل عائض في (أبها) في وقت قريب فوافقه الامير محمد آل عائض على تلبية طلبه اثر خروج قبيلة ربيعة ورفيدة عن طاعة الامير حسن لميولهم واتفاقهم مع رجال ألمع لاعطاء الطاعة للادريسي .

جهز الامير حسن بن علي آل عائض غزاة (بنو مغيد) وجماعة (بنو شبلي) من (علكم) بقيادة الامير محمد بن عبد الرحمن آل عائض ، وتوجهوا الى (السودة) في طريقهم لتأديب ومقاومة قبيلة (ربيعة ورفيدة) ومن معهم من (رجال ألمع) ، والتقى الطرفان في الجبل المشرف على قرية (تيهان) ووقعت المناوشات ليوم كامل وكانت النتيجة ان انهزمت قبيلة (ربيعة ورفيدة) ومن معها ليلا ، ولاحق غزاة ابن عائض رجال ألمع عن طريق عقبة (الصماء) وقتلوا من مشايخهم (محمد بن سعيد) من بني قطبة . اما الحملة الثانية فقد كانت من غزاة (بنو مالك) وجنود المدفعية مع الرئيس (وزير التركي) ، ويحملون المدفع بحماية رجال من (أبها) وكان الجميع بامرة عائض بن عبدالله بن محمد بن عائض ، وكان قد تقدمهم الى حدود بلاد (رفيدة) ولما وصل الى قرية (الطلحة) وقرى (طبب) ، واستولوا عليها عنوة ووضعوا المدفع على رأس جبل (بشي) المشرف على قرية (المسقوي) ورموها بالمدفع حتى هدموا بيوت الشيخ (عبدالله بن مرعي) ، وعلى اثر ذلك طلبت بقية (ربيعة ورفيدة) الامان والدخول في طاعة ابن عائض دون حرب ، ووقع الاتفاق والموافقة على ذلك الأمير حسن آل عائض على شرط حضور الشيخ عبدالله بن مرعي من

(المسقوي) والشيخ علي بن حمود رئيس قبيلة (آل عاصم) ، وعلي بن مداوي رئيس جماعة (بنو غنمي) وسعد بن عبدالله نائبا عن اهل (طبب)، وفعلا حضر المذكورون وهم الذين قاموا بالعصيان ضد ابن عائض، فأمر بسجنهم فورا تأديبا لامثالهم من رؤساء عسير ، ولم يطلب حضور عبد العزيز المتحمي لسلامة نيته ولما بينه وبين آل عائض من صلة رحم كما انه لم يعثر على مخابرة او مراسلة له مع الادريسي او غيره • اما الحملةالثالثة فكانت من غزاة (علكم) وكانوا بقيادة عائض بن عبد الرحمن وأخيه عبدالله وقد توجهوا عن طريق (قرضه) حتى دخلوا حدود (ربيعة ورفيدة) واستولوا على قرية (شرمة) وقرى آل شدادي •

وفي هذه السنة وقع خلاف وقتال بين قبيلة الرشيد وجماعة آلالغمر البادية لبنائهم قصرا في حدود بلاد الرشيد ، وبعد ان قتل من الطرفين اثنا عشر نفرا بعث الامير حسن ابن عمه محمد بن عبدالرحمن ومعه جنود من الضابطية ورجال من بني مغيد ونظروا في دعوى الطرفين ، وهدموا بناء القصر حسما للنزاع وعاد محمد بن عبدالرحمن ومن معه ، وأكدوا للشيخ سعيد بن مسلط المخالفة •

وما ان باشر الامير حسن بادارة البلاد بعد هذه الاعمال حتىفوجيء بقدوم غزاة من نجد بقيادة الامير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي •

بعد انسحاب الاتراك من عسير بدأ الادريسي بالتزلف للامير حسن، واكد له حسن نواياه ، واقترح تشكيل جيش من الطرفين لحماية البلاد ، وكان مندوبه الى الامير حسن هو مصطفى النعمي ، وفي الوقت نفسه وصل خطاب مماثل من شريف مكة الحسين بن علي يحمله فراج العسبلي وبعد دراسة الخطابين رأى آل عائض ان يقفوا على حقيقة محتواهما ، فكتب الامير حسن الى الادريسي يطلب حضوره الى ابها على اعتبار انها

المكان الطبيعي لبحث هذه الموضوعات ، ويبدو ان الادريسي خاف من آل عائض فاعتذر بان صحته لا تساعده على تحمل برد السروات ، وطلب من الامير حسن الموافقة على عقد الاجتماع في تهامة ، فوافق آل عائض ، وتوجه فعلا الامير حسن الى صبيا ومعه بعض الاعيان والوجهاء منهم امير قحطان محمد بن دليم،وامير شهران سعيد بن مشيط وغيرهما وانتهت المفاوضات بعقد صداقة تقضي بان يكون الحد الفاصل بين الامارتين (بنو شعبة) الذين هم من رعايا آل عائض ، وان تحدث المساعدة بين الطرفين في حالة نشوب حرب مهما كان نوعها • ثم عاد الوفد العسيري الى بلاده ومعه مندوب الادريسي السيد الشوكاني كمستشار • الا ان هذه المعاهدة لم ترق الامير محمد بن عبد الرحمن آل عائض ابن عم الامير حسن بل ضاق بها ذرعا ، وتوجه مع وفد الى شريف مكة الحسين بن علي وعقد معه معاهدة صداقة وتنص على :

١ ــ ان تكون حدود عسير هي حدود عام ١٢٨٨ هـ اي قبل دخول الاتراك الى عسير • بحيث تكون حدودها من جهة الشمال (الليث) في تهامة ، و (البقوم) في (حضن) واطراف الطائف ، وتصل الى (صبحاء)• اضافة الى كل ما يضع آل عائض يدهم عليه سواء أكان من جهة اليمن ام من ناحية نجد ، وليس للشريف دخل في ذلك •

٢ ــ ان يكون من واجب كل طرف مساعدة الطرف الآخر بالسلاح والعتاد وكل ما يلزم في حالة قيام حرب بين احد الطرفين •

وبعد عقد المعاهدة عاد محمد بن عبدالرحمن آل عائض والوفد المرافق له ، ومعه مندوب الشريف (عبدالله بن حمزة الفعر) •

دعا آل عائض المجلس الاستشاري الذي يتكون من العلماء وشيوخ القبائل ووجهاء البلاد ، ويضم ما يقرب من ثمانية وعشرين عضوا منهم :

الشيخ احمد بن حامد شيخ علكم ، الشيخ عبد العزيز بن عبد الوهاب المتحمي شيخ ربيعة ورفيدة ، علي بن مشببه ، عبدالله بن احمد بن مفرح، حسين بن علي العاصمي . والشيخ علي بن معدي شيخ بني مالك، عبدالله بن سعيد بن نشنه ، زين العابدين الحفظي ، الشيخ حسن بن احمد بن عبد المتعالي شيخ مشايخ رجال ألمع ، سعيد بن مشيط امير شهران ، محمد بن دليم امير قحطان ، علي بن مسفر ، احمد بن محمد ابو هليل ، علي بن حميد ، القاضي عبدالله بن مرعي ، شيخ قبائل زهران راشد بن رقوش ، شيخ غامد عبد العزيز الغامدي ، علي اسود العود ، ابن شكبان ، الشيخ المسعري ، الشيخ الصعري من مشايخ بيشة ، والشيخ شاهر بن راسي شيخ قبائل سنحان ، ابن مخالد شيخ قبائل محايل ، ابن عبده شيخ البرك، محمد بن مسلط الوصال ، سليمان آل ميمش ، محمد آل ميمش ، محمد بن عزيز ، رمزي بك .

قام الجميع بدراسة المعاهدتين وقرروا بالاجماع استقلال بلادهم حيث بقي الشريف متأرجحا بين بريطانيا وتركيا ، وكذلك الادريسي الدخيل على المنطقة وصاحب الطريقة الصوفية التي تخالف العقيدة السمحاء التي هي عقيدة سكان عموم المنطقة اضافة الى ارتباطه بايطاليا ذات الاهداف التوسعية ثم ببريطانيا التي لا تقل عن الاولى . ورأوا العمل في المحافظة على حدود بلادهم مستفيدين من المعدات الحربية الموجودة لديهم .

علم الادريسي بما تم في أبها فارسل الى الامير حسن آل عائض يطلب منه بعض الاسلحة مساعدة له في حربه ضد الامام يحيى حميد الدين امام صنعاء والشريف حسين شريف مكة . علم آل عائض ما يرمي اليه طلب الادريسي من محاولة لتقليل السلاح من أيدي سكان عسير لذا فقد رفضوا طلبه متذرعين بأنه متفرق بين نواحي عسير المختلفة اضافة الى انهم بحاجة الى مزيد منه .

لم يقبل الادريسي هذا الجواب اضافة الى انه علم ان آل عائض يخططون ضده . وقد يرسلون حملة الى صبيا ليقضوا عليه نهائيا او يخرجوه من المنطقة ، فكتب الى امام صنعاء يعظم له قوة عسير وخطر آل عائض على الامام بالذات لذا يجب اضعاف قوتهم قبل استكمالها بتدربهم على السلاح الذي ابقوه الاتراك لهم ، وانه من الضروري مباغتتهم في عقر دارهم ، وطلب من الامام مساعدته بالسلاح والرجال حتى يتمكن من حرب عسير . فرد الامام بان السلاح غير متوفر لديه ولكنه مرسل اليه عشرة آلاف جندي وعليه تجهيزهم بالسلاح ، فما ان وصلت اليه هذه القوة حتى جهزها بالسلاح ، وارسلها مباشرة بقيادة (حسن البهكلي) و (ابن عطيف) وذلك لاحتلال بلاد سنحان والزحف الى ابها عن طريق بلاد قحطان ، والهجوم عليها من جهة الشرق . وفي الوقت نفسه ارسل قوة اخرى بامرة (مصطفى النعمي) عن طريق بلاد رجال ألمع للهجوم على أبها من جهة الغرب .

وصلت اخبار مسير قوات الادريسي الى آل عائض فعقدوا في أبها مجلسا للحرب ، فشكلوا ثلاثة جيوش يرابط اولاها في أبها لارسال المدد وحماية المدينة . ويسير الثاني منها الى بلاد قحطان بامرة محمد بن عبد الرحمن آل عائض ، اما الثالث فيدافع في بلاد ربيعة ورفيدة .

سار الجيش الثاني مع قائده الامير محمد بن عبد الرحمن آل عائض ليقف امام قوة الادريسي في (البطحا) من بلاد رفيدة قحطان ، وكانت قوات الادريسي قد تحصنت في حصون قوية ووصل الجيش العسيري وكان في العراء لم يتمركز بعد في مواقعه ، والتحم الفريقان في معركة حامية كادت تعصف بجيش عسير لولا النجدة التي وصلت اليه من أبها في الوقت المناسب ، فدارت الدائرة على قوات الادريسي ، وهرب من سلم منها من جيش امام صنعاء بسلاحه ، واستولت قوات عسير على المعدات والاسرى ،

وافرزت سرية بقيادة (شاهر بن راسي) شيخ قبائل سنحان لتعقب فلـول قوات الادريسي ، وعاد الامير محمد بن عبد الرحمن آل عائض ومن معه الى أبها •

بقي قائد الجيش الثاني في أبها يوما واحدا اخذ فيه قسطا من الراحة واستعد للمسير الى باحة ربيعة ومشارف تهامة لتعزيز الجيش الثالث حيث كانت قوات الادريسي قد تمكنت من احتلال بعض المراكز ، وتحصنت في القلاع ، وما ان وصل الجيش الثاني حتى التحم الطرفان في معركة شديدة استمرت يومين كاملين انهزمت في نهايتهما قوات الادريسي ، واستمرالقتل فيها ، وما ان حل الظلام حتى هرب من سلم من قوات الادريسي مخلفـين وراءهم الاثقال والمعدات الحربية• وبقيت قوة من عسير ترابط في (محايل) بامرة شعيب بن عبد الحميد الدوسري •

بلغ الادريسي ما حل بقواته وخشي ان يواصل العسيريون تقدمهمالى صبيا وأن يطردوه من المنطقة لذا اسرع فطلب المساعدة من ايطاليا ومرابطة بعض سفنها في البحر الاحمر • كما كتب الى ابن سعود يستنجد بـه ضد آل عائض ، ويطلب منه غزوهم ، وكان كتابه مع محمـد بن دليم امـير قحطان • وبعدها بدأ الملك عبد العزيز آل سعود يكاتب آل عائض ليجـد من خلال المراسلات مبررا لغزو عسير •

قرر آل عائض الهجوم على بلاد الادريسي والقضاء عليه نهائيـا ، وبدأوا بالاستعداد لذلك . وبينما هم على تلك الحال اذ بالاخبار تصل اليهم ان قائد الملك عبد العزيز (عبد العزيز بن مساعد) قد احتل بيشة ، ومعه فيصل بن حشر وسلطان بن بجاد وعبدالله بن راشد ، وكان قد وصل الى (قاعة) ناهس التي يعدها ابن عائض من حدود ولايته ، فبعثمندوبين للاستطلاع والمفاوضة مع ابن مساعد برئاسة علي بن عبشان ومعـه سعد

ابن حسين بن مشيط وأولاد خضره واحمد الجهري كما احتلت قوة اخرى بامرة (ابن عشق) تثليث ، وواصلت زحفها الى (خميس مشيط) في بلاد شهران . وانضم اليها سعيد بن مشيط بعد ان تمركزت في الخميس •

اضطر آل عائض الى تقسيم قواتهم الى عدة اقسام : بعضها يرابط في مدينة ابها ، وآخر يتوجه الى بلاد شهران لاجلاء (ابن عشق) عن خميس مشيط ، وثالث ومعظمه من رجال بني شهر ، وعليه التوجه الى بيشة ، ورابع يرابط في (محايل) استعدادا لرد الادريسي فيما اذا فكر الدخول في المعركة والهجوم على عسير من ناحية الغرب •

• استطاعت القوات العسيرية التي سارت الى بلاد شهران من طرد (ابن عشق) ومن معه بعد معركة حامية ، وهرب من ساحة المعركة (ابن عشق) ومعه (ابن مشيط) و (ابن دليم) واتجهوا الى بيشة ، اما القوات المتجهة الى بيشة فقد استبسلت في القتال ، ولكنها هزمت في النهاية امام قوات (ابن مساعد) الذي بقي في بيشة بعض الوقت حتى وصلت اليه نجدات بدأ بعدها الزحف الى عسير حتى اتى بلاد شهران ، وكان قد ارسل طلائعه امامه فالتقت هذه الطلائع مع قوات عسير فهزمت الطلائع ولاحقتها قوات ابن عائض حتى التقت بقوات ابن مساعد الرئيسية في موقعة حاسمة كان النصر فيها للتفوق العسكري حيث ان قوات ابن مساعد تتفوق على جيش ابن عائض بالرجال والسلاح ، وتراجعت قوات عسير وان استطاعت ايقاف قوات ابن مساعد عدة ايام ، ثم طلبت النجدة من ابها ورابطت في قرية (حجلة) ، واستمرت المعارك سجالا بين الطرفين ، الا ان ابن مساعد قد ارسل قسما من جيشه عبر بلاد مالك ، فدخلت أبها من جهة الغرب ، وقطعت امدادات التموين عن قوات عسير التي تدافع في (حجلة) حتى اذا ما تفد ما لديها من ذخيرة فتراجعت ، واستمرت المناوشات بين الطرفين حتى جرى الصلح •

استسلم آل عائض الى الامير عبد العزيز بن مساعد بن جلــوي ، فذهب بهم الى الرياض . فاستقبلهم الملك عبد العزيز واكرمهم سياسةمنه، ثم امر بعودتهم الى ابها ، ولكن لم تمض مدة حتى ثاروا على فهد العقيلي امير أبها من قبل الملك عبد العزيز . وحاصروه في قصر ابها وأخرجوه منه، فأثار ذلك غضب ابن سعود فجهز الى عسير جيشا بقيادة نجله الثاني الامير فيصل عام ١٣٤١ هـ فجرت بين الطرفين معركة قرب بيشة قتل فيهــا مــن (بني شهر) ما يقرب ثلاثمائة رجل ، كما حدثت متوقعة في جهة (بارق) انهزمت بعدها قوات الشريف حسين المرابطة في القنفذة ، واخيراً استطاعت قوات ابن سعود الانتصار على قوات ابن عائض ، وهدمت حصونــه في (الحرملــة) ، واصبحت عسير جزءا من المملكة السعوديــة وخاضعــة للرياض . وسيق ابن عائض واخوانه الى الرياض ، ومنهم محمــد وناصر وعبدالله اولاد عبد الرحمن بن عائض ، وعائض بن علي بن محمــد آل عايض ، ومحمد بن ناصر بن الله آل عايض ، وابن رقوش ، ومحمد بــن عبد العزيز الغامدي لوقوفهم بقبائلهم زهران وغامد مع آل عايض ضد ابن سعود .

انتهت امارة آل عائض في عسير . وانتهى معهم ما اوجدوه فقد كانت لهم جلسات في التدريس والمذاكرة . فبعد صلاة الفجر كانوا يتدارسون القرآن والتفسير واصول الدين حتى يتعالى النهار ، ثم يجلسون لقضايا الناس وحل مشكلاتهم حتى صلاة الظهر . وبعد صلاة العصر وحتى غروب الشمس كانت تقرأ كتب الحديث والسنة . وبعد صلاة العشاء تقرأ كتب التاريخ والسيرة . كما رتبوا حلقات لتدريس علوم الشريعة في مساجــد (أبها) و (السقا) و (ريدة) ، وجلسات اخرى لتدريس الفقه وعلــوم الدين ، وجعلوا دورا للضيافة في كل من (أبها) و (ريدة) ، وخصصوا دورا لابناء السبيل لايوائهم وتقديم كل ما يحتاجون اليه تحت اشراف أمين بيت المال الذي كان في ايام الأمير عائض بن مرعي الشيخ سحــان بــن

مصلح اذ استقدم من حامية (تبالة) حيث كـانت تحت اشرافه ، وكـان شديدا الشيخ سحان بن مصلح اذ استقدم من حامية (تبالة) حيث كانت تحت اشرافه . وكان شديـدا في ذات الله . وقد دخل بحاميتـه الطائف واحتلها . الا ان الامير عائض قد طلب بالجلاء عنها واستقدامه الى أبها . وهو من آل عامر بن خثعم الذين كانت حامية تبالة تحت اشرافهم في ايـام الامير علي بن مجثل وعائض بن مرعي ومحمد بن عائض . وكـان بيـت المال قبله تحت اشراف آل الحفظي وابن عبد الجبار .

وقام بالتدريس في قصر الامير محمد بن عائض العالم الشيخ حمـد بن عتيق الذي قدم من الافلاج ومعه كبار اهل الافلاج ومنهم بعض آل رشود ، وقد خصص له الامير قسما من قصره له ولمن معه .

وتوافـد اهل العلم في نجـد الى آل عـائض نتيجـة الفـوضى والاضطرابات التي كانت تسود منطقتهم .

كما تسلم بيت المال في عسير الشيخ زين العابدين . ووصفت الكتب الكثيرة والمؤلفات العديدة بعلوم الادب والدين وبخاصة تلـك التـي وضعها آل الحفظي ولا تزال مخطوطات عند احفادهم حتى الآن .

واعتنى آل عائض بالسلاح وتربية الخيول استعدادا للجهاد ومـن اسماء خيولهم المشهورة : العـوجاء ــ مرعش ــ الدخان ــ ملـوح ــ مشهور ــ مخلف ــ عساس ؛ سراب ــ خيال ــ حباب ــ متوشـح ــ عندم ــ عنان ــ مدرة ــ الفيض ــ زاهي ــ ارجاز .

ومن اسماء سيوفهم المعروفة : شعاع ــ معجب ــ مضحك ــ مضحي ــ البارق ــ المخرس ــ رعاد ــ الباكي ــ المقنع ــ لسان الذئب . وبعض هذه السيوف لا تزال موجودة حتى الآن .



الفصل السابع
عسير بيد آل سعود

١٠ ــ السراة :

جهز الملك عبد العزيز آل سعود في اواخر عام ١٣٣٨ هـ قوة كبيرة من اهل نجد وعربان قحطان بقيادة ابن عمه الامير عبد العزيز بن مساعد ابن جلوي ، وانفذه الى مقاطعة عسير ، وتم لهذه القوة الاستيلاء على (أبها) في ٥ ذي العقدة عام ١٣٣٨ هـ بعد عدة معارك في الموقع المسمى (حجلة) وفي القرى المجاورة لابها • ووفد آل عائض على الملك عبد العزيز ــ كما سبق ان ذكرنا ــ فأكرمهم واعادهم الى بلادهم يصحبهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ قاضيا لابها ومرشدا عاما للجهات الجنوبية ومعه (شويش بن وصنيحي) اميرا يقوم بادارة البلاد ومعه خمسون من رجال نجد • وبعد هذه الاجراءات ظهر للعموم ان ادارة البلاد العسيرية قد ألحقت نهائيا بمقاطعة نجد اداريا وماليا •

وفي عام ١٣٣٩ هـ وبعد مضي ستة اشهر حصل تنافر بين الامير حسن ابن علي آل عائض والامير (شويش) فطلب الامير حسن من الملك عبد العزيز تغيير (شويش) فوافقه وعين عبدالله بن سويلم خلفا له ، فأخذ ابن سويلم في اصلاح الامور والتودد الى الزعماء الا انه لم يشاور الشيخ

محمد بن عبداللطيف مما اوجب سفر الشيخ محمد بن عبداللطيف الى الرياض بعد ان حصل سوء تفاهم بين الطرفين ، وما ان وصل الشيخ الى الملك عبد العزيز حتى عزل الامير عبدالله بن سويلم من امارة أبها التي لم يلبث فيها سوى عشرة اشهر ، وعين فهد العقيلي اميرا على ابها ، وما ان تسلم منصبه حتى انقلبت الاوضاع وبدأ الخلاف بين آل عائض والامير الجديد ، وبين القبائل وموظفي الحكومة ، اضافة الى تحريض الشريف حسين امير مكة الرؤساء والاعيان ليعملوا ضد ابن سعود .

هاجم آل عائض وبعض القبائل مثل بني شهر قصر الامارة الذي يقيم فيه العقيلي ومن معه من اهل نجد ، واستمر الحصار مدة اسبوع ثم فك الحصار عنهم الامير حسن بن علي آل عايض ، وانسحب العقيلي ومن معه الى حدود بدلا شهران وبيشة ، واستولى الامير حسن على أبها والقرى المجاورة لها بعد وقوع مناوشات حربية بسوق شهران وجهات قرى آل يزيد الشعف .

وفي عام ١٣٤٠ هـ ما كاد الملك عبد العزيز ينتهي من الحرب في جهات حائل ويقضي على امارة آل الرشيد نهائيا حتى بلغه ما تم في أبها ، فأنفذ نجله الثاني الامير فيصل على رأس قوة كبيرة في شهر شوال من عام ١٣٤٠ هـ ، فوصل الى بلاد بني شهر ، وانتصر عليهم وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة شخص ، واستمر في طريقه حتى وصل الى ابها دون كبير مقاومة ، وتمكن من الاستيلاء على حصون ابن عائض في (الحرملة) كما اخضع بعض القبائل المتمردة في جهات (محايل) و (بارق) بعد عدد من المعارك ، وقد استولى الغزاة على كثير من المواشي ، وانتقل الامير حسن وبعض اخوانه الى القنفذة ، وذهب بعض رجال جيشه الى منطقة الادريسي فتم بذلك الاستيلاء على منطقة عسير السراة حتى حدود اليمن جنوبا وحدود تهامة الى القنفذة غربا وديار غامد وزهران شمالا ، ثم ان الامير

فيصل قد عين سعد بن عضيصان الدوسري اميرا على أبها ، وعاد بعدها الى الرياض .

تجمع عدد من القوات في القنفذة التي كان فيها الامير حسن بن علي آل عائض وذلك بمساعدة امير البلدة الشريف عبدالله بن حمزة الفعر ، كما جاءت مساعدة عسكرية من الشريف الحسين امير مكة بقيادة الشريف راجح والضابط حمدي باشا حسن ... توجهت تلك القوة العسيرية ـ الحجازية الى جهة (بارق) ، وسارتسم منها بامرة (مسلط بنحمدان) عن طريق سراة بني شهر ، وقد ساعدته بعض تلك القبائل ، وطمع كثيرمن رجال القبائل في الغنائم اذ كانت سنوات عجاف عم فيها القحط ، واضطر عدد من الناس الى هجرة بلادهم وبخاصة في أبها اذ اتجه اهلها نحو مكة وجيزان وجهات اليمن .

التقى (مسلط بن حمدان) بالقوة التي ارسلها امير ابها ابن عفيصان بوادي (عبل) ، وكانت برئاسة ابنه سليمان ، وجرت موقعة بين الجانبين قتل فيها عدد غير قليل من الفريقين ومنهم سليمان قائد قوة ابن عفيصان ... وتقدمت قوات ابن عائض . كما ان القوة الاخرى بقيادة الشريف راجح قد اخذت طريقها الى السراة عن طريق محايل ، واجتمعت القوتان في بلاد بني مالك ، واستولوا على القرى المجاورة لمدينة ابها . اما ابن عفيصان فقد تحصن في قصر (شدا) مدة اسبوعين ، وكانت طلائع الشريف تهاجم ابها ليلا وتقطع عنها المواصلات نهارا .

اجتمع عربان من بادية قحطان وشهران ، واتجهوا نحو ابها لفك الحصار عنها ، وما ان وصلوا الى خميس مشيط وبلغ خبرهم الشريف راجح حتى ظن ان جيشا قادم من الرياض نجدة لامير ابها فاستولى عليه الفزع وترك ابها متجها نحو تهامة عن طريق عقبة سقار ، ولاحقته قوة

عسيرية ادركته عند العقبة واستطاعت ان تحصل من قواته على مدفع واسلحة ومعدات حربية • وسلمتها لامير أبها ••• ووصلت قوة الشريف الى القنفذة ؛ وانتقل الامير حسن آل عايض الى رجال ألمع . وطلب مساعدة الشريف حسين امير مكة الذي كان عنده اولاد سعود بن فيصل آل سعود اولاد عم الملك عبد العزيز . لجؤوا اليه من نجد عندما فشلوا في مناوأتهم للملك عبد العزيز وذهبوا مع الشريف الحسين الى ابها واتصلوا بآل عائض ، وطلبوا منهم قوة يقاتلون بها ابن عمهم عبد العزيز الا ان الامير حسن آل عائض نصحهم بالعودة وترك الخلاف وسد باب تذرع الاجنبي للتدخل في الشؤون الداخلية لبلادنا ؛ واثناء اقامتهم في أبها انزلهم الامير محمد بن عبد الرحمن آل عائض في بيته الخاص ، وكان يقضي اكثر اوقاته معهم لينسوا ما هم فيه •

أرسل الشريف الحسين قوة بامرة الشريف راجح ؛ وبعث الملك عبد العزيز قوة بامرة عبد الرحمن بن سعيد ؛ وما ان وصلت الى بيشة حتى وصلها خبر انهزام الشريف ••• ولكنها تابعت المسير الى خميس مشيط ومحلة للقضاء على فلول قوات ابن عائض والشريف •

توفي أمير ابها سعد بن عفيصان ؛ وتسلم مكانه الامير عبد العزيز بن ابراهيم فأخذ في ادارة البلاد بحزم ؛ فعادت المياه الى مجاريها ؛ وساد الامن ؛ وجاء الامير حسن الى ابها ، فارسلهم اميرها الرياض عام ١٣٤٢هـ ؛ وكان مع ابن عائض واخوانه عبدالله بن مفرح وعلي بن مشيبه ••• وقد قدم الاخيران شكوى ضد امير ابها عبد العزيز بن ابراهيم فعزله وعين بدلا عنه عبدالله آل عسكر امير المجمعة وسدير آنذاك فوصل الى ابها في ٢٢ جمادى الاولى ١٣٤٢ هـ فاصلح الامور وحسن علاقاته مع امراء الادراسة ورؤساء القبائل التهامية الذين كانوا في اضطرابات ومشكلات بعضهم مع بعض اثر وفاة السيد محمد الادريسي • وكذلك اصبح بين قبائل قحطان

وقبائل يام . واخضع قبائل بني شهر والقبائل المجاورة للقنفذة وساعده على ذلك عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه .

ب : منطقة جيزان :

على أثر وفاة السيد محمد الادريسي وتولية ابنه علي ، اصبحت جيزان مسرحا للفتن والقلاقل والفوضى ، حتى ضعف شأنها ، فاهتبل الامام يحيى هذه الفرصة وزحف على الحدود المجاورة له ، فاستولى على (الحديدة) و (ميدي) الامر الذي اثار اهل البلاد على القائم بالامارة السيد علي الادريسي ، كما اطمع هذا عمه السيد الحسن في تسلم الامارة، وظلت الحالة سيئة الى ان امر الملك عبد العزيز امير ابها عبدالله آل عسكر بارسال مندوبين له الى جيزان ومعهم جند لتهدئة الاحوال في تلك المقاطعة، وايقاف جنود الامام يحيى عند حدها ، فسافر المندوبون وهم : محمد بن دليم — عبد الوهاب ابو ملحة — عمر العسكر — حسين بن مصطفى عسيري ، ومعهم سرية من الجنود ، ومنذ وصولهم تمكنوا من حسم النزاع القائم بين الادارسة بتولية السيد الحسن اميرا بدلا من ابن اخيه السيد علي . كما تمكنوا من ايقاف جند الامام يحيى بوادي (حبل)جنوبا من قرية (سامطة) وظل هذا الخط هو الحد الفاصل بين الحكومتين مما يلي سواحل البحر الاحمر .

اضطر الملك عبد العزيز الى غزو شريف مكة فكتب الى امير أبها عبدالله العسكر يطلب منه ان يتوجه رؤساء قبائل عسير الى الرياض . فتوجه محمد بن دليم ، سعيد بن مشيط ، عبد العزيز المتحمي ، احمد بن مفرح ، عبدالله جرمان ، فراج بن سعيد العسبلي ، شبلي بن العريف ، محمد بن الخالد ، سروي بن احمد الثوعي ، ولما وصلوا الى الملك عبد العزيز رفعوا له تقريرا تنظيميا عن بيان عدد غزاة كل قبيلة في عسير ، واستعدادهم للحضور وقت الحاجة . وما رجعوا الى عسير الا وكانت

الطائف قد سقطت بأيدي القوات السعودية في ٥ صفر ١٣٤٣ هـ، وواصلت بعد ذلك زحفها نحو مكة المكرمة فدخلتها دون قتال بتاريخ ١٧ ربيع الاول من العام نفسه . ومكثت بها حتى لحق بها الملك عبد العزيز في ٧ جمادي الاولى من هذه السنة .

جهز أعيان عسير جيشا يتألف من ٢٥٠٠ غاز . سافروا الى الحجاز عن طريق تهامة للاشتراك مع القوات السعودية في حصار مدينة جدة ، وفي عام ١٣٤٤ هـ أمر الملك عبد العزيز قوة بالسير بامرة عبد الوهاب ابوملحة الى مناطق تهامة الشمالية فاستولت على (محايل) و (بارق) و (القنفذة) بدون قتال .

وفي العام نفسه طلب السيد الادريسي من الملك عبد العزيز ان يرد عنه عدوان الامام يحيى وبعض القبائل الخارجة عن طاعته ، ولكن لانشغال الملك بحصار جده جعله يبعث الى امير أبها بارسال مندوبين الى جيزان للوقوف على حقائق الامور . ولكن هدأت الامور بوصول المندوبين هدأت الاحوال نوعا ما . وكان من المندوبين تركي الماضي وعبدالله بن مسفر .

انتهى حصار جده الذي دام ما يقرب من سنة . وسافر الشريف علي ابن الحسين عن الحجاز بتاريخ ٦ جمادي الآخرة ١٣٤٤ هـ وخضعت الجهات الاخرى من الحجاز لابن سعود ونودي به ملكا على الحجاز بتاريخ ٢٢ جمادي الآخرة ١٣٤٤ هـ .

تأكدت الروابط والصلات بين الملك عبد العزيز والادارسة بمعاهدة « مكة المكرمة » التي انتهت بوضع مقاطعة جيزان تحت الحماية السعودية . واسندت الادارة والمالية الى الملك عبد العزيز ، وبموجب هذه المعاهدة ارسل الملك عبد العزيز الى الامام يحيى وفدا يتألف من الامير تركي الماضي أمير ابها وسعيد بن مشيط وعبد الوهاب ابو ملحة لاشعاره

بما كان من دخول الادارسة تحت حمايته . والاتفاق مع الامام يحيي ايضا لتثبيت الحدود وانشاء علاقة صداقة وحسن جوار . فوصل الوفد الى صنعاء ومكث فيها مدة شهرين انعقدت خلالها خمس عشرة جلسة دون ان يصلوا الى نتيجة ، واخيرا صرح الامام يحيي بقوله (ان الذي نراه لازما لحفظ الحقوق ، وصفاء القلوب ان تبقى الامور على ما هي عليه الآن) .

عاد الوفد الى مكة المكرمة يحمل كتابا مطولا من الامام يحيي مؤرخا بـ ٩ محرم ١٣٤٦ ، وعلى اثره قرر الملك عبد العزيز ارسال وفد آخر ويتكون من الامير تركي الماضي ومحمد بن دليم ، ورجع الوفد السعودي من صنعاء يصحبه وفد من قبل الامام يحيى ويتألف من السيد قاسم العربي والسيد محمد زبارة والسيد عباس والسيد عبدالله بن منـاع لاستئناف البحث مع الملك عبد العزيز في مكة المكرمة فوصلوا اليها في رمضان ، ودارت المفاوضات ولكن دون نتيجة لان وفد اليمن اختلف اعضاؤه فيما بينهم على الرئاسة والصلاحية الممنوحة لهم ، وقد ارسل السيد قاسم العربي برقية الى الامام يحيي تدل على ذلك وهي (رجعنا من المدينة المنورة ولله الحمد على البلاغ وقد تفضل جلالة الملك عبد العزيز بكل ما يلزم من سيارات وغيره ، ونلنا من امير المدينة غاية الاكرام بأمر جلالته . اخواننا اتعبونا للغاية ، لا يستقر لهم فكر بل يكثر منهم التقلب قولا وفعلا لا تظن لهم في عاقبة ولا نأمل حسن النتيجة بل ملاشاة افكار بلا مراقبة ولا تجربة ولم يحافظوا على حقيقة المسعى كما ينبغي وكل هيئة لم يعين رئيسها صراحة فهي فوضى نرجوكم الافادة القاطعة الجازمة او فضلا منكم الاستعفار ومكره اخوك والسلام) المندوب المملوك قاسم ابن حسين : انتهت :

وقفت المفاوضات عند هذا الحد ، وعاد وفد اليمن وقد احتفظ كل

من الفريقين بالموقف الفعلي الراهن وحافظ على الحدود التي بين يديه .
وظل الامر كذلك الى ان وقعت حادثة جبل عرو الواقع على الحدود في عام ١٩٥٠ .

وعام ١٣٤٧ حضر مندوبون من قبل الحسن الادريسي الى بلاط الملك عبد العزيز في الطائف لوضع القواعد الاساسية لادارة مقاطعة جيزان ، فوافق جلالته على اقتراح وفد الادريسي وجعلت الادارة الداخلية وتأمين الامن في يد الحكومة المحلية . واحتفظ بالشؤون الخارجية فقط . الا ان الادريسي عجز عن الادارة المحلية بعد سنتين ولم يكن قادرا على جباية الاموال الاميرية على الرغم من مد الملك عبد العزيز يد المساعدات له ، وفي تاريخ ١٧ جمادي ص ١٣٤٩ ابرق الحسن الادريسي الى الملك عبد العزيز بواسطة مندوبين الموجودين بصبيا بما نصه (انه تقرر بموافقته وبرضاه اسناد ادارة البلاد وماليتها الى جلالة الملك عبد العزيز) فاصبحت مقاطعة جيزان من المقاطعات التابعة للمملكة السعودية اداريا وماليا — وتفضل جلالته على السيد الحسن بمقام استئناف ممتاز يحفظ له كرامته وكرامة عائلية .

وفي عام ١٣٥٠ ا هـ وقعت الحادثة المعروفة باسم حادثة (جبل العرو) وذلك ان امير جيزان (حمد الشويعير) رفع الى الملك عبد العزيز ان جنود الامام يحي تقدمت الى جبل العرو . التابع لمقاطعة جيزان،واخذت الرهائن من اهله . وان عمال الامام يحي يرسلون الكتب الى رؤساءقبائل المقاطعة يدعونهم فيها للطاعة للامام يحي ونقض عهدهم مع الملك عبد العزيز بصورة صريحة . فابرق الملك عبد العزيز الى الامام يحي يعلمه بذلك ويستبعد ان يكون صدور ذلك عن امره وانه ان كان ذلك بأمره — فلا حول ولا قوة الا بالله — فاجابه الامام يحي ان اهالي جبل عرو هم الذين طلبوا منه احتلال بلادهم لتعليمهم الدين . وانه اذا كان وقع من

نافره ساقين او غيره بعض تجاوز فحلم جلالة الملك عبد العزيز اوسع من ذلك • فاجابه الملك عبد العزيز مقترحا عليه • عقد مؤتمر من الطرفين لحل المشكلة • فبعث الامام يحي مندوبين وهم : القاضي عبدالله بن احمد العرش • وشيخ سحار عبد الله بن مناع وابو طالب محجب ؛ كما ارسل الملك عبد العزيز مندوبين ايضا وهم الامير عبدالله بن معمر وعبد الوهاب ابو ملحه وفهد بن زعير ومحمد بن دليم وحمد العبدلي • ومحمد الحازمي — وقد اجتمع مندوبو الطرفين في قرية (النظير) الموالين لحدود جبل عرو بتاريخ ١٥ جمادي عام ١٣٥٠ ودارت بينهم مفاوضات مدة طويلة أبدى فيها كل من الطرفين حجته في جبل عرو • ولكنهم لم يتوصلوا الى نتيجة ما • وفي النهاية ابرق الامام يحي بان المندوبين لم يرسلوا الابناء على رغبة جلالة الملك • وان حل القضية متروك لجلالته • وان يحكمه فيهما ليحكم بالذي يراه ، وان حكمه قطعي مقبول : وهذا نص البرقية •

من النظير عدد ٢٣ في ١٨ جمادي سنة ٣٥٠ جلالة الاخ الملك عبد العزيز آلسعود •

لعدم خصوص الاتفاق بين المندوبين من الجهتين للتعنت من الطرفين وهو الذي خطر على البال سابقا ، حررنا هذه البرقية الى جلالتكم تأكيدا منا ان التحكيم لحضرتكم • وقد كان منا ايضا الحقيقة لجلالتكم • لم يبق غير حسن نظركم بما يجمل الطرفين ويصلح ذات البين وفقكم الله لما يحبه ويرضاه من حسن عليكم (التوقيع الامام يحى : فلما سمع الملك عبد العزيز هذا منه ، وهو على ما عرف عنه من العفو عند المقدرةوالحرص على جمع الكلمة لم يسعه الا ان يتنازل عن جبل عرو للامام يحى منعا للنزاع والشقاق وابرق له بذلك • وطلب منه اصدار اقره لمندوبيه بالاجتماع مع مندوبي جلالتِهِ لوضع التسويق النهائية على ذلك الاساس — وافق الامام يحى • واجتمع مندوبو الطرفين من جديد في مدينة (أبي

عريش) وعقدوا معاهدة صداقة تحتوي على (٨) مواد صدقها كــل من الملك عبد العزيز • والامام يحى واصبحت سارية المفعول من تاريخ ١٥ ، رمضان ٣٥٠ •

وفي هذه السنة حصل من بعض عربان اليامية حوادث أوجبت شك الملك عبد العزيز في احوالهم • فعلــم الياميون بذلــك واحسوا بــالشر فبعثوا وفدا يمثلهم الى (ابها) مكونا من ابراهيم المكرمي ، وحسين بن حيدر ، وناجي بن قعوان ، محمد محيريق ، ودارت المفاوضات مــع أمير (ابها) على حسن التفاهم والانقياد لطاعة الملك عبد العزيز، وحرروا بذلك اتفاقية حازت رضى الملك عبد العزيز •

وفي عام ١٣٥١ هـ كــان ظهور حادثة ابن رفادة بحــدود الحجــاز الشمالية مما يلي حدود العقبة • وانتقاضه على الملك عبد العزيز فأرسل له قوة عظيمة احاطت بابن رفاده وقومه من جميع الجهات ثم هاجمتهم فــي صبيحة السبت ٢٩ ربيع ٣٥٠ وقضت عليهم عن اخرهم • وفي هذا العــام ايضا رفع الحسن الادريسي علم الثورة ضد الملك عبد العزيز ، وكان ذلك بتحريض من بعض صنائع الشريف عبدالله بن الحسين ، على العصيــان واحداث ثورة في تهامة عسير بعد ان دبروا ثورة ابن رفاده • وفــي شهر رجب اعتقل رجال الادريسي فهذين زعير أمير مقاطعة جيزان فلــما اتصل الخبر بالملك عبد العزيز جهز قوة من قبلــه وامرها بالزحف عن طريــق القنفذة • تحت رئاسة الشيخ حمد السليمان وخالد الكرقني ــ كما امر بتجهيز حملة ثانية مؤلفة من قبائل عسير السراة تحت قيادة عبد الوهــاب ابو ملحه اتجهت الى (صبيا) واستولت عليها وهرب الادريسي منها وبعد معارك وقعت في قرية (الملحا) وفي اطراف (صبيا) ثم تلاقى الجيشان في موضع قرب جيزان وتعاونا على القضاء على قوات الادريسي وقد لحقهــا الامير خالد ابن لوئي على رأس غزاة من اهل (رنية) و (الخرمة) و(تربة)

و (بيشة) ثم توفى الامير خالد على اثر مرض اصابه بأبها ودفن في وادي (بيض) ، وقام بقيادة الجنود بعد نجله الاكبر سعد بن خالد فواصل سيره بالجند الى ان لحق بالحملتين •

اما الادارسة الحسن وابن اخيه عبد الوهاب ومن والدهم ، فلم يسعهم الاطرب والالتجاء بحكومة امام اليمن • ثم وصل سمو الامير عبد العزيز بن مساعد بن علوي الى أبها على رأس جيش كبير ثم توجه منها الى تهامة قاصدا جيزان ، وعند وصوله اجتمعت اليه بقية الجيوش السعودية • فقضي نهائيا على الثورة الادريسية في جميع مناطق جيزان وتهامة • وبتاريخ شهر القعدة عام ١٣٥١ عاد سموه الى أبها مكللا بالنجاح ولم يكن يستقر بها حتى وفد على سموه زعماء يام ونجران وعاهدوه على السمع والطاعة : ثم سافر سموه الى الرياض • بعد ان استتب الامن وهدأت الاحوال •

وفي عام ١٣٥٢ هـ هدأت الامور بعد القضاء على فتنة الادارسة في مناطق عسير وبتاريخ جمادي الاولى ١٣٥٢ قدم تركي السديري اميرا على أبها ـ بدلا عن الامير السابق عبد العزيز العسكر ، وكان قدومه في وقت كانت المخابرات فيه متداولة بين الحكومة السعودية وامام اليمن . وذلك لوقوع اعتداءات على الحدود وتقدم بعض العساكر اليمانية الى أعلى وادي نجران •

وفي هذا العام أمر الملك عبد العزيز ببناء جامع كبير في أبها نظرا لتزايد السكان سنة بعد اخرى في عهده الزاهر • وتقدر مساحته ٦٢ مترا من الجنوب الى الشمال • وعرضها ٥٢ مترا من الشرق الى الغرب • وهذا المسجد بلا شك لمن اجل الاعمال الخيرية الخالدة لجلالة الملك عبد العزيز السعود ، كما جرى تشييد قصر للامارة سكون من خمس طبقات • وبعض

دور للدوائر الرسمية والثكنات منها قلعة جبل ذره والثكنة العسكرية الكبيرة الكائنة برأس جبل شمسان بجهة مدينة بها الشمالية :

د ـ نجران :

تقع نجران في جنوب شرقي جزيرة العرب ، وهو واد مستطيل يبلغ طوله من الغرب من الى الشرق ٢٥ كيلومتراً ، ويتراوح عرضه بين الشمال والجنوب ٢ ـ ٥ كم ، ويبتدىء هـذا الوادي من الغرب بنخيل يسمى (الموفجة) وشعب (آل بدان) ، وينتهي من الشرق بنخيل يـدعى (آل منجم) ، ويحده من الشرق (المهمل) في الربع الخالي ، ومن الغرب قبيلة (سنحان الشام) ، ومن الشمال قبائل (وادعة) في (ظهران) ، ومـن الشمال الشرقي قبائل بادية (قحطان) ، ومن الجنوب قبائل وائلة،ويفصلها عن اليمن في الجنوب جبال نجران المرتفعة ، وهي سلسلة مـن الجبـال صعبة المرتقى والاجتياز الا من عقبات هي الممرات الوحيدة التي يمكن ان تسلك من اليمن الى نجران وبالعكس ، واهم هذه العقبات عقبة (نهوقة) التي تصل بين (نجران) وبلاد (وائلة) قرى (الفرع) ، واما من الجهة الغربية فان اعالي وادي نجران تتصل بوادي (نشور) الذي ينبع بالقرب من بلاد صعيد او (صعده) ، ويصب في وادي نجران عن طريـق مضيق (مران) ، وعقبة (رفادة) الموصلة الى (الوفجة) التي هي اعلى قـرى وادي نجران • وتتألف بلاد (يام) من الاودية والسهول والجبال المحيطة بها والمتفرعة منها وهي :

١ ـ وادي نجران في الجنوب •

٢ ـ وادي حبونه ويوازي وادي نجران ، ويقع الى الشمال منه •

٣ ـ وادي الحرسف الذي يصب في واد آخر اسمه (هـداده) ، ويقع بين نجران وحبونه ، ويصب في الثاني •

٣ ـ وادي الخانق ووادي بدر وغيرهما من الاودية الصغيرة •
واكبر هذه الاودية واعظمها شأنا واكثرها عمرانا وادي نجران
ويليه وادي حبونه ، ومع ان اهالي يام يقطنون في القرى فان
لكل فريق منهم بادية تعيش حياة البداوة المتنقلة •

اقسام قبائل يام :

تقطن وادي نجران اربع قبائل عربية اصيلة تمت بنسبها الى يعرب بن قحطان وهي :

١ ـ آل فاطمة وكبيرها جابر بن أيوب •
٢ ـ جشم وشيخها سلطان بن منيف •
٣ ـ الواجد (امواجد) وزعيمها جابر بن نصيب •
٤ ـ آل رشيد وكبيرها سعيد بن صعمان •

ويجمع هذه القبائل اسم (يام) ولعله ولد من اولاد يعرب ، اذ ان نسب (يام) يعود الى (همدان بن زيد) ، واقرب القبائل اليها في نجد العجمان وآل مرة ، وهؤلاء يسمون باليامية ايضا ، ثم قبيلة (وادعة) وقبيلة (وايلة) المنتهي نسبهما الى (همدان بن زيد) •

احوال نجران الزراعية :

نجران ارض خصبة تمتاز بكثرة نخيلها الذي ينمو تلقائيا ، ان يهمل السكان تلقيحه ، كما يتركون فسائله نامية بجانب الشجرة الام ، وينمو من النوى الملقاة لا بالغراس ، ولهذا فالانتاج قليل على الرغم من كثرة الاشجار التي يزيد عددها على خمسين ألف شجرة ، والثمر ضعيف • ولا يزيد الحفر على ثلاثة امتار حتى نصل الى الماء الباطني •

واهل (نجران) و (يام) اهل حرب واغارة لا اهل زراعة وفلاحة

لهذا اهملوا زراعة نخيلهم رغم كثرته . وتركوا حراثة بلادهم رغم خصوبتها ، والتفتوا الى الاغارة على القبائل المجاورة يكتسبون رزقهم ويحصلون على حاجاتهم .

يعهد اليامیون الى عبيدهم بزراعة الارض اذ يزرعون الشعير والحنطة والذرة اما بقية الاصناف من الحبوب والفواكه والخضار فهي مفقودة على الرغم من صلاحية الارض لانباتها . وقد اتجه الاهالي الى استصلاح اراضيهم وحفر الآبار وزراعة بعض المناطق بعد ان توقفت الغارات وهدأت الحروب عندما آل حكم بلادهم الى الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٥٣ هـ .

علاقة يام بآل سعود :

الصلة قوية بين نجران ونجد من القديم ، وعندما قامت دولة آل سعود الاولى ساعد اليامیون خصومها مثل (آل معمر) و (ابن دواس) و (ابن عريعر) ، ولكن لم يلبث الامر طويلا حتى خضعوا لسعود الكبير الذي كانت السراة تأتمر بأمره ، وكتب الامام سعود وثيقة لهم تعد معاهدة الطرفين .

ظلت (اليامية) على ولائها لآل سعود حتى حصلت الفتنة الاهلية في نجد ودخلت الجنود المصرية (الدرعية) . وحين قام الامام فيصل بن تركي بالامر اقبل عليه اهل نجران ، واعلنوا الطاعة وطلبوا منه تجديد عهد ابن عمه الامام سعود وتأكيده فحرر لهم عهدا بذلك .

وعندما عاد أمر آل سعود الى الضعف اصبح امر يام الى زعمائهم ، وتبعوا الدولة العثمانية بالاسم ، اذ ان سلطانها لم ينفذ عليهم ، ولم يتمكن حكامها في (أبها) و (صنعاء) من التوغل في بلادهم ، والحقيقة ان امرهم

كانت تتنازعه الاهواء فمنهم من خدم بعض الائمة في صنعاء في حروبهم ضد الدولة العثمانية . ومنهم من انقاد الى آل عائض في أبها ، وحين ثار الادريسي على الدولة انضووا تحت لوائه واصبحوا من اشد رجاله في الحروب ، وعدته في الملمات والشدائد .

ولما قام الملك عبد العزيز ، واخذ عسير وتهامة اليمن انفذ الى بلدة (بدر) سرية بقيادة ابن عبود فتمكنت من ضبطها واخذ العهد على (المكرمي)[1] بأن يكون وقومه صادقي الولاء للملك عبد العزيز وامرائه . كما ارسل الملك عبد العزيز قوة اخرى الى (حبونه) بقيادة (ابن عمر) رئيس قحطان نجد ، ومنها انتقل الى اسفل نجران والحقها ببلاد الملك عبد العزيز ، واخذ على اهلها العهد والميثاق .

ارتاب الملك عبد العزيز عام ١٣٥٠ هـ من بعض تصرفات (يام) ، وشعر الياميون بذلك ، فأوفدوا مندوبين عنهم الى ابها حيث جرت مفاوضات بينهم وبين امير أبها عبد العزيز العسكر على حسن التفاهم والانقياد لطاعة الملك عبد العزيز ، وحرروا عهدا بذلك بتاريخ ٢٥شعبان ، رفعت نسخة منه الى الملك عبد العزيز .

جدد العهد بين (يام) والامير عبد العزيز بن مساعد الذي مر على أبها بعد ان انهى فتنة الادارسة فجاءه كبار (يام) ، ووقعوا ذلك بتاريخ

---

(١) المكرمي : لقب بيت المكارمة زعماء (اليامية) من الناحية الدينية ، وقد اعتنقت (يام) المذهب الاسماعيلي في القرن الحادي عشر الهجري، واول من دعاهم الى ذلك احمد بن اسماعيل المكرمي الذي طرد من اليمن الداخلية ، وللمكارمة اتباع في اليمن لا يزالون على مذهبهم ، ويقطنون قرية (حراز) و (صعفان) وما يليهما من تلك الجهات . وقد انعم الملك عبد العزيز على المكارمة في نجران عما فقدوه من الاموال في اليمن، وهم لا يزالون على عقيدتهم ، ويرأسهم علي بن حسين المكرمي .

ه ذي القعدة عام ١٣٥١ هـ : وتألف وفد (يام) من جابر بن حسين ابو ساق ، حسين بن جابر ، حمد بن محمد ، علي بن حسين بن سرار ، رقعان بن عبد الرحمن ، ذيب المهان ، محمد محيريق ، ويمثل هؤلاء قبيلة آل فاطمة ، وحسن بن سلطان بن منيف ، حسن بن زيد بن قريش ، محمد بن أحمد قريشة ، حسين بن احمد بن هتيلة ، حسن بن هاشم المكرمي ويمثلون قبيلة جشم ، ويحي بن نصيب ، محمد بن زيد ، يحي بن ناجي ، محمد بن عبد الرحمن بن حمدان ويمثلون قبيلة الواجد (مواجد) ، وسمعان بن محمد آل ماطرة وهو شيخ قبيلة آل رشيد .

تطور الاحداث مع اليمن :

ارتاب الامام يحي من زيارة وفود نجران الى أبها ، فأبرق مستفسرا من الملك عبد العزيز الذي اجابه بالواقع ، ولكن الامام يحي لم يقتنع بالجواب ، فتقدمت جنوده بامرة ابن الامير احمد الذي كان يقيم في (حرفي سفيان) ، ودخلت نجران وسائر بلاد يام ، واساءت المعاملة اثناء تقدمها . وارسل الملك عبد العزيز قوة برئاسة فيصل بن سعد رابطت في بلاد شهران قريبا من ابها ، ولم تتقدم أكثر من ذلك خوفا من الصدام ورغبة في المفاوضات والحل السلمي .

تقرر عقد مؤتمر في أبها ، وكان وفد الملك عبد العزيز مؤلفا من فؤاد حمزه رئيسا ومحمد شيخو امينا للسر وعضوية كل من امير أبها عبد العزيز العسكر ، وعبدالله بن زاحم ، عبد الوهاب ابو ملحة ودليم بن محمد . وفي الوقت الذي رفض الملك عبد العزيز تقدم جنده في نجران ريثما ينتهي المؤتمر ويصل المؤتمرون الى نتيجة اذ بالوفد اليمني يتأخر عن الحضور الى ابها حتى انتهى الجيش من اخضاع نجران لليمن . كما تقدمت جنود الامير احمد لاحتلال جبال قبائل (فيفا) و (بنو مالك) و (بنو عبدالله) التابعة لمركز جيزان .

عقد المؤتمر في أبها وكان وفد الامام يحي برئاسة عبدالله بن الوزير وذلك بتاريخ شهر ذي القعدة عام ١٣٥٢ هـ • ولكن وفد اليمن كـان في خطة التأجيل والمراوغة وكانت النتيجة ان دارت رحى الحرب بين الطرفين•

عهد الملك عبد العزيز بقيادة جيوشه الى ابنه وولي عهده الامـير سعود فاستطاع ان يستولي على جهات (نقعه) وبعض جهات بلاد (سحار) و (باب الحديد) و (الشطبة) و (علبـين) وجبل (لحيمـة) والقرى المجاورة لـ (باقم) كما استخلص نواحي (نجران) التي سبق ان استولت عليها جنود اليمن ، وبذا عادت نجران وبلاد يام الى المناطق التي تخضع للملك عبد العزيز •

وعهد الملك عبد العزيز لولده الثاني الامير فيصل بقيادة الجيـوش في الجبهة الثانية وهي تهامة عسير ، فاحتل (ميدي) و (حرض) وبـلاد قبائل (سفيان) ثم تقدم فاحتل ميناء (الحديدة) و (بيت الفقيه) ومدينة (الزيدية) و (القطيعة) ، واخضع (الزرانيق) وغيرهم من قبائـل تهامة اليمن ، ثم طلب الامير فيصل من الامام يحي تسليم الادارسة اليه وهما : الحسن وعبد الوهاب اللاجئين اليه منذ اكثر من سنة ، فسلمهما اليـه بالحديدة ، فارسلهما الامير فيصل الى مكة المكرمة حيث عاشا في رعايـة الملك عبد العزيز •

امر الملك عبد العزيز ولديه ان يقفا عن الزحف ريثما ينتهي مؤتمر الطائف ، وفي الوقت نفسه طلب من ابنه الثالث الامير محمد ان يقف في جيشه الاحتياطي الذي ارسله الى (السليل) قريبا من بلاد شهران ليفتح به جهة ثالثة على اليمن ان اقتضى الامر •

انتهى مؤتمر الطائف بين مندوبـي حكومتي البـلاد السعوديـة واليمانية بعقد معاهدة (الطائف) التي تقرر فيها ايقاف الحرب نهائيا بين

الدولتين . وصدر امر الملك عبد العزيز الى ابنه الامير فيصل للانسحاب عن المقاطعات المحتلة من حدود (الحديدة) و (ميدي) جنوبا واعادتها الى حكومة اليمن بدون قيد او شرط ، فانسحب الامير فيصل من الحديدة بتاريخ ٢٣ ربيع الاول عام ١٣٥٣ هـ ، وعاد الى مكة المكرمة . واستقرت الحدود بين السعودية واليمن في تلك الجهات .

المراجع

١ ــ تاريخ ابن غنام النجدي •
٢ ــ تاريخ عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر •
٣ ــ تاريخ نجد الحديث للريحاني •
٤ ــ نفح العود في سيرة الشريف حمود •
٥ ــ اللامع اليماني للشيخ العامودي •
٦ ــ حياة سيد العرب •
٧ ــ قلب جزيرة العرب •
٨ ــ تاريخ اليمن للواسعي •
٩ ــ تاريخ المرضي من ديوان آل الحفظي •
١٠ ــ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب •
١١ ــ كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية •
١٢ ــ ديوان ابن مشرف •
١٣ ــ بيان العلاقات بين الحكومة السعودية واليمانية •

الفهرس